

د. عبد الوهاب المسيري

الإدراك الصهيوني للعرب والحوار المسلح



المدراك الصهيوني للعرب
والحوار المسلح

د. عبد الوهاب المسيري

الإدراك الصهيوني للعرب والحوار المسلح

دراسة للعلاقة بين الإدراك والسلوك السياسي



للمطباعة والنشر والتوثيق والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٤ م



للطباعة والنشر والتوزيع

س.ب ١١٣/٥٣٨٦ - بيروت - لبنان

هاتف : ١١/٧٤٣٦٨٩

مقدمة

من أعقد القضايا التي يواجهها المحللون السياسيون قضية صلاقة إدراك الإنيمان للواقع المحيط به وبسلوكه ومدى تأثير الإدراك (والوعي والأفكار والرموز) في السلوك الإنساني، وكيف تكون استجابة الإنسان الذي يتم تحدي خريطته الإدراكية، كما يحدث في فلسطين المحتلة حين يتحدى المنتفضون خريطة الصهاينة الإدراكية التي تستند إلى مجموعة من الأساطير والديهاجات الثوراتية من خلال المقاومة أو ما نسميه الحوار المسلح. وهذه القضية لا تختلف كثيراً عن مشكلة الذاتية والموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية بل والطبيعية. وهذا الكتاب يحاول أن يلقي بعض الضوء على هذه القضية: هذا هو هدفه، وهذا ما يرمي إلى تحقيقه. وعلى الرغم من أن كل فصول الكتاب تدور حول الصراع العربي الإسرائيلي (وموضوعات أخرى على علاقة به)، فإن هذه مجرد درامات لحالات، إذ يظل الموضوع الأساسي هو قضية الخريطة الإدراكية وكيف تحدد الرؤية وكيف يمكن تحديثها حتى يتم تعديلها أو تقويضها تماماً. وما الحالات التي أتينا بها سوى محاولات مختلفة لتوضيح بعض أبعاد هذه القضية الكلية والمجربة من خلال أمثلة معينة.

يحاول الفصل الأول (الخريطة الإدراكية والحوار المسلح) أن يقدم تعريفاً مبسطاً للمصطلحين الأساسيين في هذه الدراسة.

ويتناول الفصل الثاني («في الإدراك الصهيوني للمغرب») خريطة الإدراك الصهيوني للمغرب ومحاولة تجريدهم وتقييدهم والمقولات الأساسية التي يدرك الصهاينة المغرب من خلالها.

وحيث إن الواقع مختلف عن الرؤية، نتناول في الفصل الثالث («الاستجابة الصهيونية للعربي الحقيقي») ظهور العربي على شاشة الوعي الصهيوني وكيف استجاب الصهاينة لها، وكيف ترجمت هذه الاستجابة نفسها إلى سلوك، وبين الفصل الرابع («الإدراك الإسرائيلي للمغرب») والخامس («الإدراك الإسرائيلي للدولة الفلسطينية») أن الإدراك الإسرائيلي لا يختلف في أساسيته عن الإدراك الصهيوني الذي تبلور قبل إنشاء الدولة. ويتناول الفصلان السادس («الإدراك الإسرائيلي لانتفاضة ١٩٨٧») والسابع («الاستجابة الإسرائيلية لانتفاضة الأقصى») الحوار المصلح بين الممتثلين الصهاينة والمقاومة الفلسطينية وكيف أدى إلى إعادة صياغة بعض جوانب الإدراك الصهيوني/ الإسرائيلي للمغرب. وتحاول جميع فصول الدراسة أن تركز على المنحنى الخاص للإدراك الصهيوني وترصد تطوره عبر الزمان.

وقد قامت الأستاذة نيفين هاروق والدكتورة هبة غازي (جامعة عين شمس) بقراءة مخطوطة الكتاب قبل نشرها واقترحتا إدخال بعض التعديلات الهامة. وقام الأستاذ علي سليمان (مجلس الشورى) بتحرير الكتاب، فلهن مني جزيل الشكر وعند الله الجزاء. والله من وراء القصد.

عبد الوهاب محمد المسيري

دمهور - القاهرة

أكتوبر ٢٠٠٢

الفصل الأول

الخريطة الإدراكية والحوار المسلح

لا يدرك الإنسان واقعه بشكل حسي مادي مباشر، إلا في حالات فادرة، لتسم بالبساطة، كأن تلمع يده سيجارة أو يدخل في عينيه جسم صلب. فالإنسان ليس مجموعة من الخلايا والأعصاب والرغبات والدوافع المادية (الاقتصادية أو الجنسية) التي يمكن أن يُردّها في كليته (كما يزعم الماديون)، وسلوكه ليس مجرد أفعال وردود أفعال مشروطة، تتحكم فيها قوانين الميكانيكا أو البيولوجيا (كما يرى بعض السلوكيين). فعقله ليس مجرد مخ مادي: صفحة يضاء تتراكم عليها المعطيات المادية، وإنما هو عقل مبدع، له مقننة توليدية، وهو مستقر كثير من الخبرات والمنظومات الأخلاقية والرمزية، ومستودع كثير من الذكريات والصور المخزنة في الوعي واللاوعي.

الإدراك والسلوك.

لكل هذا حينما يسلك الإنسان فعله لا يسلكه كرد فعل للواقع المادي بشكل مباشر، وإنما كرد فعل للواقع كما يدركه هو بكل تركيبته، ومن خلال عقله المبدع الذي يتفاعل ويطبق، ومن

خلال ما يستقطبه على الواقع من أفراح وأتراح، وأشواق ومعان، أو رموز وتكريرات، ومن خلال المنظومات الأخلاقية والرمزية التي تحدد له مجال الرؤية، فتبقي وتستبعد وتؤكد وتهمش. كل هذه العمليات المركبة هي التي تمنح الإنسان ذاتيته وخصوصيته، وتمنح كل فرد فرادته، حتى يصبح من الصعب التنبؤ بسلوكه من خلال القوانين المادية والطبيعية العامة.

ويسبب تركيبية الإنسان هذه ونظراً لأنه لا يستجيب للواقع المادي مباشرة وإنما يستجيب له من خلال إدراكه نرى أنه لا يمكن لأي دارس أن يحيط بأبعاد أي ظاهرة إنسانية (سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية) إلا بالفصوص في أكثر مستويات التحليل عمقاً، أي النماذج المعرفية أو الإدراكية الكامنة، التي تترجم نفسها إلى خرائط معرفية ومقولات إدراكية يُنظم بها الإنسان واقعه ويُصنّفه، وإلى صور إدراكية يُدرك من خلالها نفسه وواقعه ومن حوله من بشر ومجتمعات وأشياء.

ونحن نضع الخريطة الإدراكية (والنموذج المعرفي) في مقابل الواقع المادي في ذاته - أي الواقع الخام الموجود خارج حواس الإنسان والذي يتشكل بإدراكه. وأزعم أن الخرائط الإدراكية التي يعملها الإنسان في عقله ووجدانه (شأنها شأن النماذج المعرفية) تحدد ما يمكنه أن يراه في هذا الواقع الخام، فهي تستبعد وتهمش بعض التفاصيل فلا يراها، وتؤكد البعض الآخر بحيث يراها هامة ومركزية. ولعل أكثر الأمثلة درامية على ما تقول هو الطريقة التي تتعامل بها كل حضارة مع الألوان. فهناك حضارات لا يوجد في نموذجها المعرفي وخريطتها الإدراكية سوى لونين (أبيض وأسود)، وحضارات أخرى لا يوجد فيها سوى أربعة ألوان، وهناك الحضارات الأكثر تركيباً التي يضم نموذجها ألوان المليف

الأساسية وبعض التوقعات الأخرى عليها. ويقال إن أعضاء الحسارات التي لا يضم نموذجها المعرفي وخريطتها الإدراكية سوى أربعة ألوان وحسب لا يرى أبداً سوى أربعة ألوان. وقد يبدو هذا أمراً مستغرباً، ولكن حاول أن تنظر إلى صورة زيتية ملونة يصعب مصادف محقق وستجد أنه سيكتشف من التوقعات اللونية ما لم يطرأ لك على بال لأن نموذجك المعرفي وخريطتك الإدراكية قد حددا إدراكك، وهي خريطة قام الماقد بإضافة معولات جسدية لها فأدركت من التوقعات اللونية ما لم تدرك من قبل، ونجس هنا لا نتحدث عن «صمى الألوان» (وهو عيب فسيولوجي قد يُصاب به الإنسان) وإنما نتحدث عن حدود إدراكية ناجمة عن حدود النموذج المعرفي ذاته والخريطة الإدراكية ذاتها فالإدراك يتم من خلال الأداة أي النموذج، ويتحدد الإدراك بمقدار مدى ضيق النموذج أو اتساعه

هذا لا يعني أن الواقع المادي الحام غير موجود بدون الإدراك الإنساني له، فهو ولا شك هناك في ماديته وطبيعته وموضوعيته ولاشخصيته وعموميته خلقه الله خارج وعيا وإدراك وإدراكاً، وهو ولا شك له أثر في تحديد بعض جوانب فكر البشر وسبوكهم بدرجة متفاوتة في مقدار عمقها من إنسان لآخر ومن لحظة زمنية لأخرى. ولهذا يمكن تفسير بعض جوانب وجود الإنسان وسبوكه باستخدام المنهج المادي والنماذج المستمدة من عالم الطبيعة (والتي تستخدم عادة في تفسير الظواهر الطبيعية). ولكن يظل هناك في الإنسان ما يستعصي على التفسير من خلال هذا المنهج ومن خلال تلك النماذج

بكل هذا حينما نفرض بظواهر الإنسانية لا بد من استعادة لا الفعل الاقتصادي أو الاجتماعي أو الحسي أو الطبيعي

وحسب، أي الفعل الإسلامي في علاقته المادية المباشرة مع واقع
إنساني ومع الممارسات المادية (الاجتماعية أو الاقتصادية الخ) ^(الخ)
لمحيطه به، وإنما يجب استعادة المفاعل الإنساني، الإنسان الإنسان،
أي لإنسان هي كل تركيبته وأسراره وفاعليته وإبداعه التي تجعله
يتجاوز بيئته المادية الطبيعية المباشرة وتُجمل من المسير رده في
كليته إليها ولذا لا بد وأن تؤكد أنه لا يمكن دراسة ظاهرة
الإنسان وظواهر الإنسانية مثلاً ترصد لظواهر الطبيعية، ولا
يمكن أن يسجل سلوك الإنسان كمرد أو كجماعة كما يسجل سلوك
الجمعة وجماعات العمل. فمثل هذه الرؤية (بغض النظر عن لا
إنسانيتها المثالية) هي رؤية غير دقيقة لأن الدوافع (خبرة كانت أم
شريرة)، وأشكال الوعي (مهما كان زعمه وانفعاليها من الواقع
الإنساني) والوعي، أي الدلالة الداخلية التي يراها الإنسان فيهما يقع
له من أحداث وفيما يصطب به من ظواهر (مهما كانت سطحيته أو
عمقه) تشكل جزءاً أساسياً من الواقع الإنساني. وهذه الماعدة لا
يمكن لأي إنسان تجاوزها، والصهاينة لا يشكلون أي استثناء لها،
ولذا حينما ندرس سلوكهم لا بد وأن نذكر أمسنا أن ما يحدد
سلوكهم ليس استجابتهم المباشرة للعناصر والممارسات المادية
المختلفة المحيطة بهم وإنما إدراكهم لها

انظر مثلاً لاستجابة هذين المعلقين الإسرائيليين لحقيقة
«مادية» موضوعية مثل ظهور جبل حديد في فلسطين المحتلة ولّد
وترقى تحت حكم الاحتلال الإسرائيلي ذهب الملق الأول، وهو
الجنرال بن إليعازر، إلى أن ظهور هذا الجبل يعني هي واقع
الأمر ظهور جبل بروجمانتي مرن قادر على التكيف، لا يكثر
بالسياسة، مما يجعل من الصهل انقصاء على أي تمرد له طابع
سياسي. بينما يرى ثاني، وهو يحرقتيل دروز، أن ظهور مثل هذا

الحيل الجديد يعني في واقع الأمر ظهور حيل غير خائبة من الإسرائيليين، وأن هذا هو الذي أدى إلى اندلاع الانتفاضة. وهكذا نجد أن نفس العنصر المادي فُسر قسريين متضادين تماماً. وانتقاد مصدره نموذجان معرفيان ورؤيتان مختلفتان للإنسان. واحدة ترى أن الإنسان يمس تاريخه وقرانه وذلك بمرور الزمن، فهو مادة محضة تعكس الواقع المادي المتغير وقوانين الحركة الأرية، والأخرى ترى أن الإنسان لا يمس تاريخه بسهولة، وأن تزايد الظلم قد يؤدي إلى تصعيد الثورة. ومما لا شك فيه أن رؤية كل واحد منهما ستحدد طريقة استجابته لما حوله وسلوكه تجاهها.

وأرجو ألا يفهم مما أقول أنني أذهب إلى أن إدراك الإنسان يتحكم في سلوكه، فمثل هذا التصور يسقط في نفس الواحشية والاحسرلية التي يسقط فيها النموذج السلوكي المادي الذي يُبكر أهمية الإدراك تماماً فالأول يُبكر أهمية الواقع المادي والثاني يبكر أهمية الإدراك الإنساني ما طرحه هذه الدراسة هو أمر مغاير تماماً، فهي تذهب إلى أن سلوك الإنسان مركب للغاية تحده عدة عناصر متداخلة من بينها إدراك الإنسان لواقعه وأن الإدراك الإنساني لا يؤدي إلى سلوك بعينه، وإنما يخلق تربة خصبة تزيد من احتمالات أن يفعل الإنسان سلوكاً بعينه دون غيره. فالعلاقة بين السلوك والإدراك - في تصوري - علاقة احتمالية وليست حتمية.

لكل هذا تذهب هذه الدراسة إلى أنه يجب ألا يدرس البشر وكأنهم انعكاس مباشر لواقعهم المادي. أشياء صماء تتأثر بضوايا لحركة المادية، ظواهر طبيعية ترصد من الخارج كما ترصد الأشياء، إذ يجب دراستهم كبشر يحسون بما حولهم بطريقة محددة

ويستطوعون عليها معنى دخلياً هو الذي يحدد أهميتها بالنسبة لهم
ويحدد مدى نجاحهم وفشلهم

الإجماع الصهيوني.

ولكن لخطاب السياسي العربي في تحليله للصهاينة
(والحصارة العربية، بل واللذات العربية) اسمط بعد الإدراك من
حسابه وبالتالي أمتطل الخصوصية فمتطط في التعميم ولا يمدو
رصيداً للعس هو كثر من الأحيان أن يكون حديثاً عاماً عن قوته
العسكرية والاقتصادية وعن مخططاته وربما عنصريته، ولذا نجد
أن كثيراً من الدراسات تقوم بتوثيق ما نعرف مسبقاً دون أي
تعميق لرؤيتنا أو إضافة لإدراكنا وتقوم بتطبيع النظام السياسي
الإسرائيلي، أي محاولة دراسته باعتباره كياناً سياسياً طبيعياً عادياً
بعيداً عن استخدام نفس المقولات التحليلية العامة التي تُستخدم في
دراسة النظام السياسي الأمريكي وكان الكيان السياسي الإسرائيلي
لا يختلف في أساسياته عن أي كيان سياسي آخر وكأنه لا يتسم
بالشذوذ البنيوي وتذهب هذه الدراسة إلى أنه إذا كانت بيئة
الظاهرة هي مجموعة العلاقات استباكية التي تكون هذه الظاهرة
وبمعناها الأساسية ومعناها الخاص الذي يميزها عن
غيرها من الظواهر فإن الشذوذ البنيوي هو حدة بصيغة بيئية
هذه الظاهرة، أي بتركيبها الجوهرية. وإصلاح هذا الشذوذ يعني
تغيير بيئة هذا الشيء تماماً.

والسمة الأساسية للدولة الصهيونية أنها تجمع استيطاني
إحلالي يوظف الديهاجات اليهودية، وأن نقطة انطلاقه هي أن
اليهود شعب عضوي يعيش في العرب ولا ينتمي إليه، ولذا يجب أن
يوطن في أرض أجداده أي فلسطين، التي يجب أن تفرغ من هذا

يتصادف وجوده فيها من البشر. وقد ترجمت هذه الصيغة إلى الشعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وهذه هي الركيزة الأساسية للخريطة الإدراكية الصهيونية، والتي يتحرك الصهاينة هي إطارها والتي ترجمت نفسها إلى ما نسميه «الإجماع الصهيوني».

و«الإجماع» في عالم السياسة هو الاتفاق بين المحبة والغالبية الساحقة من الشعب بشأن عدد من المسلمات الفلسفية والأخلاقية والسياسية. و«الإجماع الصهيوني» هو اتفاق داخل الدولة الصهيونية بين التيارات والاتجاهات ولأحزاب الصهيونية، التي تصمم العملية العنيفة من المستوطنين الصهاينة بشأن الأمن وحدود الدولة والملاقة مع الفلسطينيين ومع يهود العالم ودول العالم وبخاصة دول العالم الغربي وفي مقدمتها الولايات المتحدة التي ترفع الكيان الصهيوني. وقد تظهر اختلافات بشأن الوسائل والنهج، ولكنها لا تقتصر فقط، إلى المسلمات النهائية. (والمعتقد الاجتماعي الذي يستند إليه، لتجميع الصهيوني هو نفسه هذا الإجماع، وهو الذي يشكل المرجعية النهائية لكل الأحزاب والهيئات الصهيونية)

وقد أصررت منظم هذه المسلمات، تقول «اعتبرت» ولا تقول «رأيت» إذ إنه دعم الاعتزاز هناك، الذي فرضه الواقع المقاوم على المستوطنين الصهاينة فرضاً، تظل غالبيتهم الساحقة تدور في إطار الإجماع الصهيوني، الذي يمكن تقسيم يوده إلى قسمين قسم خاص بملاقة المستوطنين الصهاينة بالدولة الزراعية وبالجماعات اليهودية في العالم وقسم خاص بموقفهم من العرب.

ولنبداً بالقسم الأول.

1 - اليهود شعب واحد، طبيعته هو المستوطنون الصهاينة، وفلسطين هي أرض المهاد أو أرض إسرائيل (وطر اليهود القومي)

ولمست فلسطين، وعلى أهلها. وحدود إرثس إسرائيل مراومة مطاعة لا يمكن تحييدها هي لوقت الحاضر، إذ لا بد أن تتوسع إسرائيل لتصل لحدودها «التاريخية» (التي ورد ذكرها في التوراة) وعلى يهود العالم أن يهاجروا إلى إرثس إسرائيل وأن يلتقوا حول دولتهم الصهيونية لقومية ويقيموا، بدعمها مالياً وسياسياً فهي المركز وهم الهمم. هذه الدولة يجب أن تكون دولة يهودية خالصة (دولة اليهود ودولة يهودية في آن واحد) تجسد الرؤى اليهودية، ويلبسان اليهودي أن يحقق فيها ذاته وهويته.

ولكن الدولة الصهيونية بدأت تفرك أن اليهود ليسوا شعباً واحداً (كما كان يدعى الصهاينة قبل عام ١٩٤٨) وسؤال من هو اليهودي لا يزال سؤالاً مفتوحاً، يطرح نفسه على الدولة الصهيونية وعلى قاطناتها من المستوطنين الصهاينة ولا لم تعد الدولة الصهيونية تطلب من يهود العالم الغربي الهجرة إليها، ولم تعد تتبع الأسلوب العقائدي المدعوي الذي كانت تتبعه في الماضي، ومن هنا كفت الحديث عن الشعارات انصديجة مثل «جرح المعيين» و«عرو انجاليات» و«تصعية الدياسبور» و«إسرائيل لكبرى حدودياً»، وبدأ، بدلاً من ذلك، الحديث عن «الصيهودية التكنولوجية» أو «الإلكترونية» (أي التي تساهم في بناء «الوطن القومي اليهودي» من خلال التكنولوجيا والإلكترونيات)، كما يتحدث الصهاينة الآن عن «صيهودية الدياسبور» و«إسرائيل انظمى اقتصادياً» المهمة على المتعلقة الممتدة من المحيط إلى الخليج، أي أن الحركة لصيهودية قد فلتت فامر واقع معاده أن اليهود ليسوا شعباً واحداً وأن إسرائيل ليست وظيفهم الوحيد وأن يهود المنفى لهم حق البقاء فيه، ومن هنا تحول الصيهودية التوطنية، والتنازل عن الأهداف القصوى للصيهونية الاستيطانية المطالبة بـ «تصعية الدياسبور»،

ومن هنا أيضاً محاولة توظيف يهود والمسلمين في مصانعهم، أي
أوطانهم

٢ - لا يمكن تفكيك المستوطنات القائمة بالفعل، فتفكيك
المستوطنات يضرب في صميم الشرعية الصهيونية، ولا بد من
الحفاظ عليها بشكل أو بآخر، وللدولة الصهيونية تضم الضفة
العربية، وحبونها هي نهر الأردن. ولكن، هل يجب أن تكون هذه
المستوطنات متصلة بطرق برية أم أنفاق تحت الأرض، أم تظل
معزولة؟ وهل هي مستوطنات أمية مؤقتة أم دائمة؟ كل هذه أمور
ثانوية يمكن الاختلاف بشأنها بين أعضاء حزب العمل وحزب
الليكود، إذ يرى أعضاء الليكود أن حدود إسرائيل هي نهر الأردن
بالمثل وأن الوجود الاسرائيلي هناك وجود دائم، أما العمال
فمستعمرون «للخروج» من هذه الأرض (من الناحية النظرية على
الأقل) للحفاظ على يهودية الدولة الصهيونية فهما يسمى
«الصهيونية السكانية». تضم الضفة الغربية بمن عليها «ميجوز» على
الطابع اليهودي للدولة الصهيونية، وكل هذه الاختلافات السابقة إن
هي إلا امتداد للاختلافات التي نشأت من البداية، بين التيارات
الصهيونية المختلفة

ولكن مع هذا نجد أن أمراً جوهرياً مثل الاستيطان، حجر
الزاوية في الإجماع الصهيوني، قد يصبح هو الآخر موضع خلاف
جمع تزايد مشاعر الغلاء بين مستوطني صم ١٩٤٨ (وراء لحص
الأخضر) ومستوطني الضفة والقطاع. بسبب حجم الإنفاق
الاقتصادي والمسكري الثماني الذي ليس له صائد واضح، ظهرت
أصوات كثيرة تصف هذا الاستيطان بأنه «مكلف»، أو «مثرمة» أو
كسبوز الماء المفتوح، ومطالب البعض من «مطور صهيوني» بوقفه أو
فكه أو تجميده، وبخاصة بعد أن أصبح الاستيطان «مكيف لهواء»

وأصبح على الجيش حماية المستوطنين (بعد أن كانوا يشكلون طبيعته العسكرية)

٢ - القدس هي العاصمة الموحدة والأزلية للدولة الصهيونية (وليس موضوعاً لمسلومة) ويمكن للفلسطينيين أن يأخذوا مكاناً خارج القدس وليسموه م. شافوا ال Quds على سبيل المثال، وهذه (مع الأسماء) ليست مجرد مكتة سياسية وإنما حقيقة صهيوية

٣ - يذهب الإجماع الصهيوني رغم ديباجات الاستقلال الصهيوني والاعتماد على الذات ورهص الجويم إلى أنه دون الدعم العربي، ويحاصمة الأمريكي، للمستوطن الصهيوني كى يُقدر له انبعاث والاستمرار، وأن هذا المستوطن الصهيوني هو أساساً دولة وظيفية أسست للاستطلاع بوظيفة أسلحية، هي الدفاع عن المصالح العربية، وأن العرب قد تبنى المشروع لصهيوني وصمم له البقاء والاستمرار كي يدافع عن مصالح العرب في المنطقة، ودون أداء الدولة الصهيونية لوظيفتها، لن يكون هناك دعم

هذه هي بهود الإجماع الصهيوني بخصوص علاقة المستوطنين الصهاينة بيهود العالم والدولة الراعية وماذا عن علاقتهم بالسكان الأصليين (الفلسطينيين - العرب)؟

١ - وجود الفلسطينيين في وطنهم فلسطين - حسب التصور الصهيوني - أمر عرضي زائل، ومن ثم لا بد من السطس منهم بشكل ما (لتأسيس الدولة اليهودية المقصورة على اليهود) وإطلاقاً من كل هذا يصبح من «حق» الدولة الصهيونية أن «تدافع» عن نفسها وعن حقوقها انطلاقاً بكل صراوة من خلال «جيش الدفاع الإسرائيلي» ضد «إرهاب» السكان الأصليين، أي الفلسطينيين ممن يرفضون الإدعاء للرؤية الصهيونية وقد تتملوت مفاهيم السلام بين حزب صهيوني يميني وأحر صهيوني يساري ولكن هي التحليل

لأخير نجد أن مفهوم الأمن لدى الأحزاب الصهيونية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار يشير إلى مصمون واحد

وينظر الصهاينة إلى القضية الفلسطينية باعتبارها «قضية أخلاقية» وجسيم ومن ثم يجب عدم الحديث عن «عودة» الفلسطينيين إلى ديارهم (دعابة توطنهم في المصطلح العربي). ولما يجب الحديث عن «مسح تمويصات» مالية لمتضررين منهم. أما المتيقون هيستوعيون في أماكن وجودهم (أي في البلدان العربية المحتلة، وبخاصة سوريا ولبنان)

ومع هذا أمرك الصهاينة صغوية التخلص من الفلسطينيين ومن وجودهم «العربي» الرأسي. ولذا يحاول الصهاينة الآن قبول الأمر المكسي الواقع مع الاتجاه نحو تقليل الاحتكاك بالفلسطينيين ومحاصرتهم عبر إقامة كيان خاص بهم، لأنهم يهندون شرعية الوجود الصهيوني ذاته ولكن انحدث عن «محاصرة السكان» هو تقمه دليل على الفصل الصهيوني في إنشاء الدولة الصهيونية الحاكمة وفي حماية المراع الصهيونية التي تحدثها الانتماضات انباركان وقد تحول النظام الاستيطاني الصهيوني عن الإحلال وأصبح نظاماً مبنياً على التفرقة العنصرية (الابارتهايد)

٢ مياصة الأمر الواقع هي الصهاينة «الوحيدة» التي يمكن اتباعها مع العرب، فالأمر الواقع هو الذي يهز الواقع [العربي] ويصرص واقعاً [صهيونياً] جليداً عليه ويمكن تحقيق السلام والشروط الصهيونية من خلاله.

وقد أثبت الانتفاضة و«الحرم لأمتي» في لبنان عدم جدوى الأمر الواقع وعيئنه واستحالة فرض السلام بالشروط الصهيونية ولذا نجد أن الإجماع الصهيوني قد هتر بشأن عزوات إسرائيل العسكرية «دفاعاً» عن نفسها (والتي تفرص الأمر الواقع والسلام

بالشرع الصهيونية من خلالها)، وإن ظل الإجماع الصهيوني بشأن قمع الانتفاضة، لأنها تتحدى شرعية الوجود الصهيوني ذاتها

٣ - الكيان القسطنطيني الذي سنبشأ (في النصف وبنقلاع) كيان سياسي مقوم الصبغة، منوع السلاح ويدور جيش. ويشبه الكيان القسطنطيني بيورتوريكو وأندورا (والأولى دولة حرة، تابعة للولايات المتحدة، لسكنها، حق الصويت دون أن يحسموا لجسسية الأمريكية، أما الثانية، فتتخضع لنظام حكم تحت سيادة فرنسا وأستقم من أسباب [فهي تقع بين البلدين])، أما ماذا تُسمّى هذه الدولة (هن هي «حكم ذاتي» أم «دولة فلسطينية مستقلة؟) فهذه مسألة ثانوية يمكن الاختلاف بشأنها.

وقد اهتزت بتود الإجماع الصهيوني بسبب تحدي الواقع للخريطة الإدراكية الصهيونية. ولعل أكبر تحدٍ تواجهه هذه الخريطة هو المقاومة العربية، فهو وحده الكفيل بتقويض الخريطة الإدراكية الصهيونية العنصرية ليصن المستوطنون الصهاينة إلى درجة من الرشد تجعلهم يفتشون عن أنفسهم مقولاتهم العنصرية، تصاماً كما حدث في جنوب إفريقيا وهذا لا يمكن إنجازه إلا بالدخول مع العدو في حوار على جميع المستويات

الحوار والحوار النقدي والحوار المسلح.

«الحوار» مصطلح يعني حرفياً حديثاً يجري بين شخصين. وهو ترجمة لكلمة «ديالوج» dialogue المكونة من مقطعين «ديا» dia، وتعني «اثنين»، أما «لوج» logue، فهي من الفعل اللاتيني «لوكور» loquor، والتي تعني «يتحدث». فهو حديث بين اثنين (على مكن المودولوج فهو حديث شخص و حد [مودو] مع نفسه). وكلمة «حوار» تفترض شكلاً

من أشكال النديّة والمساواة وأنا كمعلم أؤمن أن الله - سبحانه وتعالى - قد منح كل البشر قدراً من الإرشاد، وأن الإنسان، بما فيه الله من مثل، قادر على أن يتجاوز إدراكه الضيق ليصل إلى إدراك أكثر رحابة وإنسانية ولكن إذا كان الإنسان، الذي تحاول الحوار معه فاشياً عنصرياً، ممسكاً بمذمعة رشاش، ويصرّ على أن يسلكه في حدود حريصته الإدراكية، أو يحاول أن يصرصها حرصاً على أن يقع فيبطل بالآخرين ويدوس عليهم، فما العمل؟ هنا يجب أن ندرس قضية الحوار بأمعان شديد.

ويلاحظ أن الصهاينة يدعون إلى «الحوار» والتفاوض وجهاً لوجه، والابتعاد عن عقد التاريخ وحسابات الهوية. ومثل هذه الدعوة للحوار دون تحديد لمطلبات والأطر هي في واقع الأمر دعوة لمحو الذاكرة والتخلي عن القيم والتعري الكامل. وفي غياب النديّة فإن ما يحسم الحوار هو السلاح، أي أنها دعوة للتطبيع من الجانب العربي دون أن يقوم الجانب الصهيوني بإزالة استيطانيته الإحلالية. نتي تصيب شعوبه لتيوي

ولكن يكون الحوار مثعراً لا بد أن يبدأ من التاريخ والقيم ومن الواقع المركب الذي يعيشه، فانبشروا مثل الثوب عقولهم صفحة بيضاء، فمن كنا يحمل عبء نذاكرة والتاريخ والأحلاق وهذا ما يجعلنا بشرأ، ونحن جميعاً نعيش في الواقع وبدركه من خلال تجربتنا المتعبة، ولذا في حوار مع الآخر لصهيوني لا بد أن يبدأ بتعريف المشكلة لا أن نسأها أو نتساءلها ولا بد أن نتذكر أن هناك كياناً استيطانياً إحلالياً وكتلة بشرية غارية وأن ثمة مسألة فلسطينية متمثلة في شعب فقد أرضه ولم يفقد ذاكرته، ولذا فهو متمسك بها يتأصل من أجها، أي أن الحوار لا بد أن يبدأ بالاعتراف بشذوذ إسرائيل البنيوي وشرعية المقاومة وفحوى

والحوار المصلح، حين يقوم الطرف الذي وقع عليه الظلم بالمقاومة، فهو من خلال مقاومته وإلحاق الأذى بالآخر الظالم، يبدأ هذا الآخر في إدراك أن رؤيته للواقع ليست بالضرورية مصلقة ولا نهائية، فتتمتع قوة من الإرشاد الإنساني في سحب الظلم الكثيفة ويبدأ الآخر الظالم في إدراك الظلم الذي وقع على ضحيته ومن ثم قد يعدل موقفه وهذا يتطلب رسداً ذكياً ومستعزاً من جانب الضحية المقالوم، حتى يدرك أن اللحظة قد حانت للدخول في التفاوض مع الآخر الظالم هذا لا يعني التوقف عن المقاومة، لأنه لو جرى الحوار دون المقاومة المسلحة فإن هذا الآخر، جهمي حواسه الخمسة ورؤيته الداروينية، قد يرى الرغبة في التفاوض باعتبارها مؤشراً على استعناد الضحية بالاستسلام للذبح مرة أخرى. وقد أدرك المبتاعيون هذا الوضع، فدخلوا في حوار مصلح مع الأمريكيين انتهى بالطرفين في مائدة المفاوضات، ولكن لم يتوقف المبتاعيون عن العنال إلا بعد انتهاء المفاوضات.

وقد جرى حوار مصلح حقيقي بين المستوطنين الصهاينة وحزب الله انتهى بإدراك المؤسسة العسكرية الصهيونية استحالة الاستمرار في احتلال جنوب لبنان وتصور أنها جزء من إسرائيل، أو أن من حق إسرائيل تحويلها إلى حزام أمني وهناك حوار مصلح يجري بين المستوطنين الصهاينة والعسطينيين بشكل يومي توقف مع اتفاقية أوسلو، ثم علا مرة أخرى مع انماصة الأقصى. ويطالب الصهاينة بإيقاف هذا الحوار المصلح قبل تقديم أية تنازلات وبكى لسؤال هو إذا ما توقف الحوار المصلح، ما الذي يدفع الإسرائيليين لتعميد القرارات الدوابة؟ إلى تعود الخريطة الإبراهيمية العصرية وتمشش على عقولهم مرة أخرى كصهاية سوداء؟

هذه هي بعض القضايا التي سنناقشها في هذا الكتاب.

الفصل الثاني

في الإدراك الصهيوني للعرب

استهدفت نمكة الصهيونية ملامحها الأساسية، ثم مقومات وجودها، من انحصارة الفريية (الرأسمالية/الإمبريالية) في القرن التاسع عشر، خلاصة في الحرم الأخير منه. وقد كانت هذه لحصاره في تلك المرحلة الرسمية قد وصلت منعطفاً حطيراً وهاماً للغاية من تاريخها، ومن تاريخ البشرية جمعاء، بعد الانسجار الذي حدث في إنتاج السلع نتيجة لثورة الصناعية، إذ تحولت إلى حصارة مهمة مفترسة جعلت من الإنتاج عاية لا وسيلة وجعلت العرض من إنتاج السلع هو الربح لا سد حاجة إنسانية ما.

وقد أدى هذا الانسجار الإنتاجي (المنعصل عن أي سياق إنساني أو أي إطار أخلاقي) إلى نمو نظامه المعروفة بالإمبريالية التي وصلت إلى ذروتها في المعدل الأخير من القرن التاسع عشر، وهي لفترة التي ولدت فيها الصهيونية واقتسم العرب فيها العالم

وكان لا بد من ظهور اعتذاريات تبرر هممة الإنسار الفريي على مصائر كل انبشر، واعتماده لكل الثروات على وجه الأرض، واقتسامه لآسيا وأفريقيا وأمريكا، ولإبדתه لسكان قارات بأكملها

(الأمريكان وأستراليا) والاستعباده ونقله لأعداد هائلة من سكان
عارة أخرى (إفريقيا) والاستغلاله لشموب قاره رابعة واحتلاله
لبلداتها (آسيا، خاصة الهند) وقد شهد هذه المراحل بالصل
تطور وتطور المكر العصري العربي وظهور كل كلاسيكياته المعروفة
ابتداءً بمكر هيجل الذي يحتوي داخله على النظرية العصرية
العربية بشكل جنيني. مروراً بصحته وبريتشكه ونيشيه وشامبرلين،
وانتهاء بهتلر ومطوري الذرية.

ومن الصعب تلخيص هذا التراث النسخم والبركب من
الكتابات، العصرية لغربية، وهو أمر عني أية حان يقع خارج نطاق
هذا البحث، ولكن قد يكون من المفيد أن نلوه الوصول إلى بعض
ملامحه الأساسية لأننا ندرك كذلك سرك أيضاً الملامح الأساسية لمكر
الصهيوني ويمكن القول بأن أهم تيديات الرؤية العصرية في
العرب هو تحويل الذات القومية، أو «إثنية» لإسنان، إلى مصدر
وحيد للقيمة ومطلق وحيد يؤمن به الإنسان، بحيث يصبح ما هو
خارج هذه الذات مجرد وسائل يمكن استخدامها (على أحسن
تقدير) وعوائق يجب إزالتها (على أسوأ تقدير).

وقد أفررت هذه الرؤية نظرية نلحقوق الأرية لا تصنع
للمقاش ولا يتمتع بها سوى صاحب الإثنية ولكن الحل الإمبريالي
لشاكل أوربا كان تصديرها إلى الشرق، ولذا عرفت هذه الهوية
على أنها متفوقة أيضاً بحيث اتسع نطاق نظرية الحقوق ليهتلع
حقوق الآخرين «المثلمين» هي آسيا وإفريقيا والأمريكيتين حيث
توجد تشكيلات حصارية بدائية لا همة إنسانية لها، كما كان يدعي
الإمبرياليون، ومواد خام يمكن استخدامها لتزويد الآلة لصناعية
الرهية، وسوق مصممة تبتلع كل السلع التي أنتجت بهدف الربح
ويمكننا القول - بكثير من الاطمئنان - بأن بنية الرؤية

الصهيونية تكن من اليهود والعرب قد اكتسبت نفس هذه البلام
فالحركة الصهيونية قد بدأت بين اليهود ببيان التمرد على الدين
اليهودي والشريعة اليهودية وقام الصهاينة بإحلال اليهودي ذاته
والإثنية اليهودية محل العقيدة اليهودية كمصدر أساسي للقيمة،
وأصبحت هذه الذات هي المطلق الذي يبحث عن التحقق في
التاريخ (وكانها كلمة الله) ، ولذلك فإننا نجد أن منطق الرؤية
الصهيونية للذات الصهيونية وتجمعها يعني اختفاء العربي وغيباه
(لا سبه أو نعتة بالتحالف وحسب على الطريقة العربية) بحيث
يصبح هذا الغياب هو محور الوجود الوجودي وغرضها النهائي، وقصدها
الخاص في معظم الأحيان، والمعلن في أحيان قليلة

وإذا اهتممنا أن تحقق هذا المتصل الإدراكي أو دروته هو
الغياب التام للعربي، هي كل الأجزاء والمرحل الأخرى تنزع نحو
ذلك وفي نظام تصنيفي، مبدأ بأقصى اليمين، وهي لحظات
إدراكية تارة يدرك فيها النفس الصهيوني وجود الإنسان العربي
الحقيقي وتاريخه وبعينه بل وحقوقه، وفي أقصى اليسار، هناك
الرعية الصهيونية المارمة في أن يعيب عربي حتى تخلص له
الأرض دون مكانها، ومن الطرف الأول إلى الطرف الآخر، ثمة
اتجاه تدريجي نحو التخلص إدراكياً (وواقعياً) من هذا العربي،
ابتداءً من نعتة بأنه إنسان شرقي ملون متخلف، ثم رؤيته على أنه
ممثل للأغيار بكل وحشيتهم وقسوتهم، ولذلك فهو يستحق ما يحل
به، ثم محاولة نهيمشه، وانتهاءً بإنكار وجود العربي أساساً.

وبلاحظ أن الحركة هنا هي حركة نحو مزيد من التجريد،
هيدلاً من رؤية الإنسان المسمطي كإنسان حقيقي مرارح يعيش في
أرضه وأرض أجداده يزرعها وينتج أشكالاً حضارية تستحق
احترام، يتحول هذا المسمطي إلى إنسان شرقي متخلف لا

يستغل الأرمي على أكمل وجه ثم تزداد درجة التجريد ليصبح
مثلاً للأعيار، عليه أن يدفع ثمن الكوارث التي حاقّت باليهود عبر
التاريخ، ثم يظهر هذا الإنسان على أنه شخصية هامشية تفتقد أية
هوية قومية أو حضارية أو أية دوافع سياسية ثم يصل التجريد
دروته (والرؤية لحظة تحقّقها) حينما تتكرّر الأدبيات الصهيونية
وجود هذا الإنسان أساساً وتعمل لإشارة إليه وهي بقية هذا
المصل، سنتناول بشيء من التمهيد مقولات الإدراك الصهيوني
الأربع

(أ) المربي المتخلف،

(ب) المربي مثلاً للأعيار

(ج) المربي الهامشي

(د) العربي الغائب.

العربي المتخلف

نظرت الصهيونية لنفسها على أنها جزء من التشكيك
الحصاري الاستعماري الغربي حتى تستعيد من نظرية الحقوق
والواجبات السائدة في الغرب في القرن التاسع عشر والتي
عرّفت وجب الإنسان الأبيض بأنه لإدخال الحضارة في المناطق
الأقلّ تحضراً في آسيا وإفريقيا، وذلك عن طريق الاحتلال العنفي
للفارتين^(١)، حتى ولو أدى ذلك إلى إبادة السكان الأصليين^(٢).

وقد دأب معكرو لحركة الصهيونية على تعريف اليهود بأنهم
جزء من الجنس الأبيض المتخلف، وكان هرتزل، كما جاء في
يوميات هرتزل التي تولى نشرها رفايل دتاي، يرى مشروعه
الصهيودي في إضار فكره عبء الرجل الأبيض^(٣)، وقد نبهه في

ذلك رانجويل^(٤) وآخرين، كما بين جيجورج جابور في دراسته لهامة عن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني

وعلى ذلك فإننا نجد في الكتابات الصهيونية حديثاً صريحاً ومملاً عن البطافة الغربية والنظام العربي والحضارة الغربية التي سيأتي بها الصهاينة كممثلين للحضارة الغربية هي «الشرق المويوه»^(٥)، وهذا موضوع أساسي كامن متواتر في الأدبيات الصهيونية يمكن أن يعود لأعمال معظم المفكرين الصهاينة ليجد أمثلة من الأقوال تدعم رأينا هذا.

هذه الرؤية للذات الصهيونية الغربية المتقدمة تقترض صورة العربي الشرقي المتخلف، وهي صورة معشوية في أدبيات الصهيونية وقد لاحظ المفكر الصهيوني أحمد معلم عام ١٨٩١ أن المستوطنين الصهاينة يعاملون العرب بالحقار وقسوة، ويظنون إليهم باعتبارهم «مويوشين مسراوين»، دمجاً يشبه الحمير، لا يرون ولا يهتمون ما ينور حولهم»^(٦) كما لاحظ أحد الرواد الصهاينة في أوائل القرن قبل الصهاينة يعاملون العرب كما يعامل الأوربيين السود^(٧) أما هارون أرويسون. أحد رعماء المستوطنين في أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين، فقد حذر الرواد الصهاينة من أن يفتقوا بجوار «الملاح (العربي) القدر، الجاهل وندي تتحكم فيه المبراجات»، كما أنه كان أيضاً يؤمن بأن «كل العرب مرتشون»^(٨)

والعربي حسب تصور وايرمان، يتصف بنفس الصفات تقريباً التي ذكرها من قبل. فهو «عصر معطلة»^(٩) يحاول والجري قبل أن يستطيع السيرة»^(١٠)، وأنه شعب غير معتد للديمقراطية ومن المفضل أن يقع تحت تأثير البلاشفة والكاثوليك»^(١١). وقد أرسل هذا الرعيم الصهيوني خطايا لثرومان رسم فيه صورة مشرقة

الذات الصهيونية المتقدمة هي مقابل الصورة الكثيرة للمجتمع لعربي الأمي المعثر في فلسطين^(١٢). وأعتقد أنه لا يفيد كثيراً أن تأتي بمزيد من «الأدلة» والقرائن والبراهين من أعمال بن حوريون أو جابوتنسكي أو غيره من الكتاب الصهيونية إلا أن مثل هذا سيكون مجرد تمديد أفقي لا يغير من الصورة كثيراً ولأننا لسنا في مجال محاكمة الفكر الصهيوني بل نهدف إلى فهمه وتصنيعه، فإننا لا بد أن نقف هنا هائلاً لنبرهن هذا البعد عن الإدراك الصهيوني للعرب.

صورة العربي المتخلف تعود بجنونها إلى الاعتذاريات والكتابات العنصرية التي تتحدث عن عيب الرجل الأبيض، ولذلك فهي لا تقسم بأية خصوصية صهيونية، فالعربي المتخلف لا يختلف كثيراً عن الإفريقي المتخلف أو الآسيوي المتخلف أو حتى الأمريكي الأسود المتخلف، فكلهم سواء من وجهة نظر الإنسان العربي المتقدم. ولذلك، فإننا نجد أن الوصف هنا يتسم بالمعمومية والتجريد والانتقاء، وهذا أمر حمعي في أي تفكير عنصري لأنه إن لم يتسم بذلك لوجد العنصري ممسه أمام وجود متعين محسوس له قيمة تاريخية متعينة محددة ولأصبح من العسير استقلال صاحب هذا الوجود واقتلاعه وإبادته.

ولكن، إذا كان لعربي متخلفاً إلى هذا الحد، والصهيوي متقدماً إلى هذا الحد، أليس من المنطقي إذن أن نتوقع أن يأخذ الثاني بيد الأول؟ هنا يجب أن نهيب بسطق التاريخ قليلاً بتاريخين جانباً عنطق الأسطورة، لنكتشف أن وليمسان العقلاي الذي كان يذم العرب لتخلفهم، ثم يحاول قبح أن يأتي بالنور والحدادة ونقسم بين معاد على تكرين التخلف، وبد، فقد بدل قصاري جهده للإفادة من الخلافات العربية المختلفة ومن الاحتكاك بين

الملاحين واليهود ومن لوبيزات والصراعات بين المسلمين والمسيحيين ومن لصراعات بين العناصر الحضرية والريفية^(١٣). بل وحاول الصهاينة في صيف عام ١٩٢١ تأسيس منظمة قومية إسلامية تتخذ موقفاً معادياً للإمبريانيين وتعارض المنظمات الإسلامية/المسيحية المعارضة للاستعمار، وقد نجحوا بالفعل في تأسيس مثل هذه المنظمات في حيفا والناصرة وطبرية^(١٤)، ولكن يبدو أنها لم تستمر طويلاً. وقد فُصل الصهاينة دائماً التعامل مع العيادات التقليدية وسحق القيادات الحديثة.

والصهاينة مهتمون في ذلك تماماً، فقد أتركوا منذ البداية أن تحدث العرب وتقدمهم بحسب تحقيق الإمكانية العربية الكمية، وأن تحققها سيؤدي لا محالة إلى العياب الصهيوني، وهو أمر لا يمكن لحركة سياسية ذات مصالح خضارية/ طبقية محددة أن تسمح به. ولكن هذا، يمكننا القول بأن الإدراك الصهيوني للعربي من خلال هذه النقطة لا يجعل منه إنساناً شرقياً متخلفاً وحسب وإنما يؤيد بقائه على هذا الوضع

العربي ممثلاً للأغيار.

تتعمق الرؤية الصهيونية للذات بالتنوع بل وبالتناقض أحياناً والصهاينة الذين يرون أنفسهم كشكل من أشكال التعبير عن الحضارة العربية يرون أنفسهم أيضاً كتعبير عن الجوهر اليهودي الخالص، وبذا، يصبح المشروع الصهيوني ليس ممثلاً للحضارة انفرجية المتفحمة وإنما ممثلاً للشعب يهودي الذي عانى الولايات عبر تاريخه على يد الأغيار. ولكن رؤية الذات - كما أسلفنا - مرتبطة برؤية الآخر، ولذا هنا نجد أن العربي، في هذا السياق الجديد، يتحول من العربي المتخلف إلى عربي ممثل للأغيار ولأن

الموقف الصهيوني من الأغيار يتمم بالاستقطاب المتطرف، فإن العالم ينقسم إلى الصهايا اليهود والأغيار الخائب. شعب مختار وشعوب متربصة به دائماً وأبداً. وإذا كانت الاستراتيجية الإدراكية الأساسية عند العنصريين هي - كما أسلفنا - تجريد الصحية من إنسانيته بتاريخية المسمية، وبالتالي من حقوقه فإن عملية التجريد هذه تكتمل مع خصوصية بريد التجريد هذه وصراوة وعلى هذا، فإن مقولة الأغيار أكثر تجريداً من مقولة الزنحي في الأدبيات العنصرية البيضاء ومن مقولة اليهودي في الأدبيات النازية، ومن مقولة العربي كشرقي متخلف في الأدبيات الصهيونية. ولواقع أن تجردها يبيع لا من كونها لا ترتبط برمان أو مكان محدد وإنما لأنها تضم كل الآخرين في كل زمان ومكان. فالعربي شرقي متخلف مرتبط على الأقل بمكان ما هو لشرقي ورمس ما هو لماضي، أما حينما يصبح ممثلاً لكل الأغيار فإنه يصبح لا تاريخ له ولا أرض، ويصعد كل ملامحه وقسماته، وبدا تحقق الاستراتيجية الإدراكية خطوة كبيرة إلى الأمام (محو العياب الكامن).

ومرة أخرى، يجب أن ندرك أن الصهاية كانوا يسمون في ذلك التشكيل الحصارى الغربي. فالصهيونية ذات الديباجة المسيحية والتي يسبق تاريخها تاريخ الصهيونية ذات الديباجة اليهودية، تقبلت مثل هذا التقسيم للعالم كيهود وأغيار. ولذلك، يتحدث وعد بلفور عن «لجماعات غير اليهودية»، أي جماعة الأغيار التي تشعل الأرض وقد أشار هرتزل أثناء تفاوضه بشأن كريت (لتصبح موقفاً للاستيطان الصهيوني) إلى مكانها بطريقة تتم عن عدم الاكتراث والتجريد بأنهم مجرد أغيار «عرب، يونانيون، هذا الحشد المختلط من لشرق» (١٥).

إن هذا الإدراك للمربي معشلاً للأغيار ساعد الصهاينة على تفسير الثورات العربية لفلسطينية المثبتة تفسيراً يتلاءم مع مصالحهم وتحيرهم ورؤيتهم، إذ أصبح الماومة العربية جرماً من مؤامرة الأعداء الأتية فقد وصف إسحق بن تروفي، رئيس إسرائيلي سابق، المقاومة العربية بأنها مجرد منبحة أخرى يرتكها المهاجرون لليهود قدم قنصل روسيا في فلسطين بالتمريض عليها^(١٦) وحيثما احتض القنصل الروسي بعد الثورة البلشفية، كانت القيادة الصهيونية ترى عملاء إحترا ثم عملاء فريسة في العنصرية، وعملاء ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية في الثلاثينات، كمحرضين على هذه الثورة^(١٧) أما في الأربعينيات، كما أشار هلايان، فقد أصبحت سلطات الانتداب والإدارة العسكرية في فلسطين - حسب هذه الرؤية - هي المحرك الرئيسي لثورة الفلاحين الفلسطينيين^(١٨) وقد حرص أحد المستوطنين الصهاينة هذا الموقف بقوله إن ثورة الفلاحين الفلسطينيين ليست محاولة لرد المدون والظلم الواقع عليهم وإنما هي تعبير عن العداء الأبدي الذي يديه الأغيار نحو اليهود بوصفهم شعباً طرد من بلاده^(١٩).

وهكذا، ومن خلال هذا الإدراك، يستوعب الصهاينة التمرد العربي ويصمونه داخل قالب مجرد يصرعه من مصمونه الإنساني بحيث لا يشكل لأمر أي تهديد فعلي للمقتصب بل ويحول هذا المعتصب - مهما بلغ جرمه من يشاعة - إلى ضحية أيدية

وهبل أن نتقل للمقولة الثالثة، قد يكون من المفيد أن نذكر أن الإدراك الصهيوني للعرب يركز دائماً على الخاص والخاص ويكاد يستبعد المستقبين تماماً في معظم الأحيان، وإذا تم التمرص له فإن المستقب يُنظر إليه باعتباره امتداداً كمياً للخاص وليس محالاً للتحويل الكمي ولا شك أن مثل هذا الموقف هو النتيجة

الطبيعية لإسقاط التاريخ والزمن وتحويل العربي إلى كم متخلف غير قادر على الحركة أو ممثل لارممي للأغيار يسقطى انحاضر والمستقبل

العربي الهامشي.

بينما هي بداية لعصل أن اقترجه الكاملة للرؤية الصهيونية العرب هي «قديهم الكامل»، وقد لاحظت أن عملية التجريد التي تحدثنا عنها هي أيضاً عملية إسقاط إنسانية هذا العربي وبالتالي تجريده من أية حقوق إنسانية ولا شك أن هذه العملية تصل إلى قمته في مقولة «العربي الغائب» ونكنا لا تصل إلى هذه الدرجة مباشرة إلا يمكن ملاحظة استراتيجيات إدراكية مختلفة لتبني ظهور العربي الغائب منسجماً «تعميش العربي».

ويمكن القول إن عملية تهميش العربي تأخذ اسماً شكل إنكار أي وجود سياسي قومي للعرب عامة والعلمانيين على وجه الخصوص فالصهيونية، في إدراكهم لنشوات العربية صندهم يكرسون طبيعتها العنصرية والسياسية ويؤكدون لأنفسهم ولرباقهم أن الدافع لهذه نشوءات يرم حب الأرض أو الوطن أو تمسك الإنسان بثرته وإنما هي ثورة تعبر عن «استعصاء الديني»^(٢٠)، وكان الصهيونية يلومون لمسيحيين العرب أحياناً باعتيادهم الأعداء الحقيقيين لمشروعهم الاستيطاني، ويصورون المسلمين بالصبارهم طوبى يمكن لتقاهم معهم! وكانوا في أحيان أخرى يمترضون العكس، كما يشير لأكبر، يؤكدون أن انصبو الحقيقي هم المسلمون أما المسيحيون فهم على استعداد أكبر للنماوس^(٢١)، وأن الجماهير الفلسطينية مجرد غوصاء لا تحركها الدوافع القومية بللاعب بها الإقطاعيون والأفندية^(٢٢). وتمرد هذه الجماهير لهم تعبيراً صادقاً عن حركة

قومية حذاقة وإنما هو رد فعل تفسره الأوضاع الإقصائية والاعتبارات القبلية الضيقة(٢٣).

والى جانب هذا، كان الصهاينة يرون الفلسطيني أو العربي حيواناً أو مغنوقاً اقتصادياً معصاً تحركه الدوافع الاقتصادية الباشرة، ولذا فإنه يمكن حل المشكلة العربية - بحسب هذا التصور - في إطار اقتصادي ليس بالضرورة سياسياً(٢٤) ولعل أن الأمثلة على هذه الاستراتيجية الإدراكية هو رشيد بك، هذا العربي المخلوق حسب المواصفات الصهيونية في رواية هرتزل الأرض المحتلة القليلة والذي ظل يؤكد أن «وجود صهيوني قد عاد علينا بالنفع الكبير: لقد رادت صادرات البرتقال عشر مرات، وكانت الهجرة اليهودية جيراً وبركة خاصة بالنسبة لئلاك لأراضي لأنهم باعوا أرضهم بأرباح كبيرة»(٢٥). ظل لعف من الصهاينة يؤمن إيماناً راسخاً بأنه يمكن التغلب على معارضة الفلسطينيين عن طريق توضيح لمزايا الاقتصادية الجمة التي سيحصلها الاستيطان الصهيوني، وعن طريق حثهم على لرحيل إلى البلاد العربية [بعد إعطائهم التعويض الاقتصادي المناسب عن وطنهم] (٢٦) وكانت إحدى قباعات وبرمان الإدراكية أن التطور الاقتصادي في فلسطين سيؤدي إلى أن يصمد العرب «لاهتمام بالمعارضة السياسية»(٢٧).

وتعبيراً عن هذا الإدراك للعربي يتوالى في لكتابات الصهيونية موضوع أساسي كامن يمكن تسميته «شراء فلسطين» فكثير من الصهاينة كان يظن إلى الاستيطان الصهيوني بأصباره عملية شراء أراض بسمير أعلى من سعر السوق، وأبهم بذلك يكونون قد أعطوا العرب «حقهم» - والحق هنا قد مرّف تحريماً اقتصادياً وحسب، وفلسطين هنا ليست وطناً وإنما سوق عتارية.

ويؤكد لنا يوميات هرتزل أنه كان يؤمن (بمبدأ واسعاً) بإمكانية شراء فلسطين بالتقسيم المريح وبأسعار مخفضة. وفيما قدمت ثورة أليراك، عرض بمس النضالية شراء حائط المبكى.

وبدل موضوع شراء فلسطين، متطرق بعض الشيء، ومع هذا يمكن القول بأن إدراك نمري كمخلوق اقتصادي ليس له حقوق سياسية أو وعي قومي كلن بعداً أساسياً في الوجدان الصهيوني. ويؤكد والتر لاكير وغيره أن السياسة لرسمية للصهيونية هي العنصرية [ويمكن أن تصيف. وبعدها] هي عدم الدخول في مناقشات سياسية مع العرب وأن ينصب أي تفاوض على التمازج الاقتصادي وعدم التفرغ لطبيعة النظام السياسي.

وبلاحظ أن الاستراتيجية الإدراكية هنا تهدف لإستقراء الطبيعة القومية لردة الفعل العربية، لأنه لو تم تصميمها على أنها قومية لتجزم عن تلك الاعتراف بأن هذا التشكيل القومي له أرض قومية وتراث قومي ومجال قومي ومجموعة من لحقوق لقومية تتسبب الادعاءات القومية للصهيونية

ومع هذا، فإن القومية العربية كانت تعرض نفسها فرصاً على الإدراك الصهيوني كدافع محرك للجماهير العربية. وبذلك، فقد كان انصهاية يتبين امترابيتيتين آخرين أكثر حذقة وصقلاً عن محاولة فهميش النمري وبرع «بصفة السياسية عنه. كانت الاستراتيجية الأولى هي الاعتراف بالطبيعة القومية للثورات الفلسطينية مع تفسيرها تفسيراً يجردها من مضمونها الإنساني أو السياسي ويمصها عن المركبات القومية المماثلة، وبالتالي تصبح هذه الطبيعة القومية ناهضة ولا تمتحق هذه الثورات أن نحسن على كل الحقوق القومية والقومية العربية - حسب هذا الإدراك - هي أساساً قومية معظمة عملية للإنجليز والصوى الخارجية (٢٨)

(وقد اشترى من قبل، أثناء حديثه عن العربي ممثلاً للأصهار، إلى مسألة الإدراك الصهيوني لثتمرد العربي، وقلنا إن هذا الثتمرد هي الإدراك الصهيوني نتيجة لتدخل المصطلح الروسي، أو الإنجليزي أو المرمحي أو الألماني أو الإيطالي)، وينكر هلايان أنهم كانوا أحياناً يرون القومية العربية على أنها مجرد مردة فعل، للاستيطان الصهيوني ليس لها وجودها الحقيقي، أو على أنها محاولة سلب للصهيونية ليس لها دينامية دائمة مستقلة^(٣٩).

وكما ينكر ولير لاكير، فإن الصهيونية العماليين، ممثلي العالم لعربي الاشتراكي وممثلي فكرة التقدم الاشتراكية كانوا يصنعون القومية العربية بأنها قومية «رجعية»^(٤٠)، أو كما قال ارلوزوروف، فإنها قومية تهيم عليها قوى الرجعية الاجتماعية والطعيان السياسي وأنها لم تنشج قهلات سبسية مثل صن بات صي أو غابدي^(٤١).

أما الاستراتيجية الإدراكية الثانية في مجانبه القومية العربية كأمر وقع يمرض نفسه حرصاً، فهو الاصراف بها كقومية كامنة القومية مع لقصص مجدل هالياتها بحيث لا تضم المنطيين وقد ذكر هلايان أن إسهام وايزمان الأساسي لرؤية الصهيونية للعرب تلخص في تمهيرة بين العرب والفلسطينيين إذ كان يرى إمكانية لتوصل إلى اتفاق مع القومية العربية بل ومساومة هي متقابل أن يمتلئ العرب عن مطالبهم في فلسطين^(٤٢) كما ذكر هلايان أن ويرمان كان هو أيضاً صاحب نظرية أن فلسطين جزء هام من الوطن لعربي الكبير^(٤٣)، وكان ارلوزوروف موافقاً على التعاون مع العرب، ولكنه كان متشائماً بخصوص التعاون مع المنطيين^(٤٤)، ويمكن أن يرى مفاوضات وايزمان/حمير ومعظم اتصالات الصهيونية مع العرب في هذا

الإطار بل إن الصهيونية قدموا عام ١٩٢٢ مشروعاً طرحه موشيه بيكسون، نائب رئيس تحرير جريدة دافار، ونال تأييد بن جوريون الحذر، كان في جوهره تعبيراً عن هذه الاستراتيجية - وكان المشروع يدعو إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تكون جزءاً من اتحاد فيدرالي يضم الشرق العربي بأسره، وأن يكون الفلسطينيين أقلية داخل هذه الدولة التي تشكل أقلية داخل الاتحاد العربي^(٢٥).

ولمن هذه الاستراتيجيات الإدراكية من أدنى الاستراتيجيات على الإطلاق وأكثرها شرادة ودهاء وتعبيراً عن خصوصية الصهيونية كحركة استيطانية بحلالية لا تهدف إلى عرو لعالم واستعباده (على طريقة النازية) ولا حتى السيطرة على العالم العربي، وإنما الاستيلاء على الأرض الفلسطينية وحدها دون ساكنيها. فعملية التهميش هنا تصبح معصورة على الصعية المباشرة وحسب، أي الفلسطيني، دون حاجة لاستجابات هذه الآخرين سواء في الشرق أم الغرب.

العربي الغائب

يمكن، بمعنى من المعاني، القول بأن كل الاستراتيجيات الإدراكية السابقة هي من قبيل محاولة تقييد العربي بالعربي انتطفاً، والعربي ممثلاً للأغيار والعربي الهامشي والذي ليس له حقوق قومية هو عربي مهبط مسند للحقوق الواضحة وكل هذه المحاولات تعبير عن انثروب الصهيوني نحو إخفاء العربي، وكما أسلفنا، يصل الإدراك الصهيوني للعربي إلى ذروته لحظة تحقظه العنصرية في الإنكار الكامل لوجود العربي، فلا يُذكر بخير أو شر، ويتم إظهار عدم الاكتراث الكامل به بل والتمرام، لصمت حيد، وهذه الرؤية للأحر مرتبطة برؤية الذات وهي رؤية اليهودي

الحال - وهو اليهودي المخلق ذو الحقوق المطلقة الحالية التي لا تتأثر بوجود أو غياب الآخرين. بل إن وجود الحقوق اليهودية الحالية يجعل حقوق الآخرين مجرد حقوق «خارجية وعرضية ومؤقتة»^(٣٦)، وجودها مثل غيابها لا يؤثر في علاقة اليهودي بالأرض وحقوقه فيها. ومن هنا كان الشعار الصهيوني بأن فلسطين «أرض بلا شعب لأرض» فمن عليها من بشر غائب لا وجود له، وإن كان له وجود فهو وجود صرهي وغير هام. (أما اليهود فشعب بلا أرض لأن حقوقهم اليهودية انحصرت تربطهم برباط لا يفسخ وراءهم لأرض وهذه الأرض وحدها مما يؤدي إلى تفكك أو حصر الارتباط بأرض أخرى) وكما قال بن جوريون «فلسطين بلد بلا سكان»^(٣٧)، فامتلاك فلسطين لهم من حق السكان الأصليين، ولا يمكن لبشر يهوداً كانوا أم عرباً أن يتصالحوا مع معنى هذا القرار «لأن محور مشكلة فلسطين» وفقاً لما قاله بن جوريون في كتابه بحث إسرائيل ومصيرها «يتلخص في حق اليهود المشتتين في العودة»^(٣٨)، وهو حق مطلق قائم منذ بداية التاريخ وحتى آخره. وكما ذكر فلايان فقد كان في إمكان بن جوريون أن يؤكد في خطاب له في أكتوبر ١٩٣٦ أنه لا يوجد أي صراع بين القومية اليهودية والقومية الفلسطينية لأن الأمة اليهودية ليست في فلسطين (بعد) ولأن الفلسطينيين ليسوا أمة^(٣٩).

وقد فسر بعض المكرين الصهيونية هذا الإصرار على العربي العائب على أنه ضرورة نفسية واضحة؛ لأن تحقق الصهيونية كان يعني بالضرورة نقل (أو تقييد) العرب^(٤٠). وسواء أكان ذلك ضرورة نفسية أم لا، فإن غياب العربي - كما أسلفنا - هو المحور الأساسي ونقطة التحقق الكاملة للاستعمار الصهيوني الاستيطاني الإحلالي الذي سيج صهيونيته (نقل لشعب اليهودي إلى أرض

اليهود) من إحيائته (تعريح الأرض من سكانها الأصليين). ونكر العرب، ولو في مجال التشهير بهم، هو اعتراف صمني بهم، كما أن إحقاقهم وراء مقولة الأعيان ينطوي أيضاً على قسما، من الاعتراف، وبمن لصول ينطبق على التهميش، إذ إنه يمكن رؤية دماء الصحبة مائلة، أما الإغفال الكامل فهو عملية نظيفة للمية إذ يتم الدبح كما يتم مواراة الجثة!

والواقع أن رصد مقولة «العربي الغائب» وتوثيقها أمر صعب للغاية، لأنه لا يمكن رصد وتوثيق ما هو غائب بالطريقة التقليدية من خلال حشد الاقتباسات والنصوص وتحليلها. ومع هذا، هناك عدد كبير من التصريحات والمفاهيم الصهيونية لا يمكن فهمها إلا في إطار مقولة «العربي الغائب»، ويمكن أن يندرج تحت ذلك الإطار كل ذلك الحديث المستفيض عن «الأرض المقدسة» و«إرث إسرائيل» و«صهيون» و«أرض الميعاد»، فهو حديث يستند في نهاية الأمر إلى افتراض غياب فلسطين العربية -عبارة مثل «إرس إسرائيل» فهي كلمة «فلسطين» تماماً، وبالتالي تغيب الفلسطينيين وتؤكد الرابطة المضوية والأزلية بين اليهود وهذه الأرض ونحن نجد أن الصهيونية يكتبون دراسات «علمية» رصينة عن الجمعية اليهودية في طبرية أو دور اليهود في الدفاع عن القدس إبان انكسار المملكية ويكتشف لمرء في طي مثل هذه الدراسات أن عدد ساكني طبرية من اليهود لا يتجاوز المائة، وأنهم كانوا من اليهود المتصوفين، وأن مدافعين اليهود عن القدس، إن كان هناك مدافعون، لا يتجاوز بضعة أشخاص، ولعلهم وجدوا أشاء المعركة بالصدفة، ولكن هذه التواريخ «العلمية» تقطر لهؤلاء باعتبارهم الأساس والجوهر وأن ما عداهم من جماعات بشرية فلا أهمية لها والحديث عن امسيطن المهاجرين من روسيا القيصرية

باعتبارها «عالية» أي «صعوبة»، وعندهم باعتبارهم «محبيلهم». هو أيضاً حديث يقتصر غياب العرب بل ويمكن القول بأن المصطلح الصهيوني ككل (نفي، عودة، تجميع، انقياس...) يفترض هذا اليهودي المختص الذي يقتصر بدوره غياب العربي.

وحيثما يتحدث الصهاينة عن «التاريخ اليهودي»، فإنهم يتحدثون في واقع الأمر عن تشكيل يهودي حضاري عالمي مركّز يرتكز على إسرائيل (أي فلسطين)، وأن تاريخ هذه المنطقة الجغرافية هو «تاريخ يهودي» وحسب، أما التواريخ الأخرى (سواء تاريخ الكنعانيين منذ مئات السنين قبل التسلل العبراني أم التاريخ العربي لثلاث السنين بعد المسيح الإسلامي وتواريخ كل الأقوم الأخرى التي كانت تعيش في أرض كنعان / فلسطين) فهي كلها ثابتة بالقياس للتاريخ اليهودي وأن الحديث عن «النفي والعودة» و«تجميع المنفيين» هو تعبير عن نفس الرؤية والإدراك. ففي اليهود يعني أن الوجود العربي عرمني ومؤقت، و«العودة» تعني ضرورة «الخروج» أو «النفي العربي»، وأن «تجميع المنفيين» يعني تشريد الفلسطينيين. فأحرار صبرا وشاتيلا كرامة في الخطاب الصهيوني وقد صدر تطور من نفس المنطق والرؤية حينما تحدث عن العالوية الساحقة لسكان فلسطين في بداية هذا القرن باعتبارهم «جماعات غير اليهودية» فالمنطق الصهيوني واسطق الاستعماري اتصفاً عن الإدراك وعلى المخطط وهو قضييب العرب عن طريق تهجيرهم وتحويلهم إلى كل مهمل قابل للنقل (مهما كان حجمه) وردماً للإبادة إن سبغت الفرصة، ومن هنا الحديث في كتابات الصهاينة حبي الآن عما يسمى «بالتراستفير» أو «مقل العرب» أي تهجيرهم بالقوة، أي تعييبهم إن قراءة أي نص صهيوني وفهم أي برنامج صهيوني أمر صعب للغاية، إن لم يكن مستحيلاً، دون افتراض مقولة «العربي العالبي»

الصمت إدن، يلجأ في حالة العربي المائب، ولكي ثمة
 مبرراً ومبرمجاً سياسياً صهيونياً تصحح رعم أنها عن مقولة
 «العربي الفاشية الكامنة ويحدث هذا حينما يمرض العربي
 لإمبريق نفسه فرصاً، كوجود موجود، ككيان بيولوجي من الصعب
 تحاشيه كجثة ترفه أن تذوب في العصب أو تختفي تحت
 المراتب هنا يبعث الصهاينة إلى تقيبه ومن الأمور التي لها دلالة
 صهيونية أن كثيراً من المكربين الصهاينة (من المسيحيين واليهود)
 الذين لم يكونوا قد احتكوا بعد بالعرب بل ولم يعرفوا بوجودهم
 أصلي، اقترحوا نقلهم أو إبادتهم. وعلى سبيل المثال لا الحصر
 يمكن أن نذكر الحاجام كاليشر الذي لم يكن قد ذهب قط إلى
 فلسطين ومع هذا كتب عام ١٨٦٢ يتحدث عن «خطر العصايات
 العربية»^(١١)، وبدأ يفكر في طريقة إراحتهم عن الطريق الصهيوني
 ويمكن أن نذكر سير لورانس أوليمان ولورد وشافنتشيري وغيرهم
 من الصهاينة المسيحيين الذين اقترحوا ضرورة نقل العرب ووضعوا
 الحائط لذلك. ثم يمكننا أن نشير إلى هرتزل، هذا الليبرالي
 الرقيق الذي تحدث عن طرد السكان الأصليين، سواء كان يتحدث
 عن مشروع استيطان صهيوني في قبرص أم في فلسطين، ومن
 بعده مورو أو زانجويل الذي اقترح تهجير العرب على نمط هجرة
 اليهود إلى الترانسفال وعلى نمط هجرة اليونانيين أو الأتراك كل
 إلى بلده^(١٢)، ولم يكلّ الصهاينة التصحيحيين بطبيعة الحال والرؤية
 عن تأكيد ضرورة «تنظيف» الأرض من سكانها. وهي نفس العبارة
 التي استخدمها وايرمان «العقلاني» وغيره من الصهاينة لوصف
 طرد المسططيين العرب عام ١٩٤٨^(١٣) وعلى كل كان وايرمان
 يرى في نقل وتمهيد العرب حلاً للمشكلة الصهيونية منذ
 البداية^(١٤).

وكما أشار شلومو أفييري فإن الفكر الصهيوني بوروخوف،
والذي يقدم اعتدائيات اشتراكية مركزية، فقد اقترح أن يكون
مصير العرب هو الانصهار في المصومنين الصهاينة، وهي طريقة
لورة اشتراكية مبتكرة للتعبير^(١٥). وقد تبعه بمدرسون العماليون
مثل بن جوريون وموتركين وغيرهما، وقد قمت في كتابات أخرى.
كما قام غيسري بسوثيق هذه الجانِب في الإدراك والمشروع
الصهيوني، ولا يوجد أي مبرر لتكراره هنا

ولكن يجب أن تؤكد مرة أخرى أن الصهاينة لم يكونوا
مفكرين في ذلك، فالمفكر المبادئ في التشكيل الحضاري العربي
كان يستبعد الآخرين ويهدر كل حقوقهم نظرياً وإذا كان إهدار
الحقوق في حالة الصهيونية يأخذ شكل تفهيب العرب، فإن هذا
يعود إلى بنية لصهيونية ذاتها والتي قسمت خصوصيتها من
الطبيعة الحاضرة للمشروع الصهيوني. ولذا يجب ألا نفهم هذه
الجانِب من الإدراك الصهيوني تفسيراً أخلاقياً فنبعت الصهاينة
بأنهم أكثر شراً وأخلاقاً خلفياً من الاستعماريين التقليديين أو
الاستعماريين الاستيطانيين العربيين. لأننا لو فهمنا ذلك لتصورنا أن
السؤال تستند إلى إرادة، وكأنه يمكن للصهاينة أن يتوبوا يوماً ما
عن فعلتهم وأن يرجعوا ويبدوا الندم ويعودوا عما ارتكبوه من ذنوب
وبذلك يقبَل عن إدراكنا مدى حدة الصراع وأبعاده المتبوية
الموصوفة.

اليهودي كعربي والعربي كيهودي.

وقبل أن نلخص نتائج هذا القسم، نود أن نذكر موضوعين
أساسيين يستدعيان وقفة لطرافتهما إن لم يكن لأي شيء آخر
وإن كنا لا يمكن أن ننكر أيضاً قهرنهما العنصرية والاحتلالية

وهذان الموضوعان الأساسيان هما «اليهودي كعربي»، و«العربي كيهودي»

ورغم أن الموضوعين يتصلان إلا أنهما يتبعان من إحدى الأفكار الأساسية المتواترة في الفكر الصهيوني، وهي فكرة تصفية الدياسبورا (أي أعضاء الأقليات اليهودية في العالم) وتجميع اليهود في الوطن القومي، فالصهيونية تطلق من الإيمان بأن الدياسبورا عبر جديرة بالبقاء فيهود النفس شخصيات طليعة مريضة طفيلية ومما يجدر ذكره أن أدبيات معاداة اليهود تحتوي على نقد متكامل متماسك لما يسمى بالشخصية اليهودية، وقد أصبح هذا الانتقاد جزءاً من الترسنة الإدراكية للصهيونية التي طرحت نفسها على أنها الحركة التي تستطيع اليهود، أي تجعلهم قوماً طبيعيين وتخلصهم من الصفات السلبية المرسنة للصيغة الشخصية بتخصيتهم

وقد تواتر الموضوع الأساسي الأول، أي «اليهودي كعربي»، في الكتابات الصهيونية التي صدرت قبل أن تتحدد معالم المشروع الاستيطاني الصهيوني تماماً، وقيل أن تينور خريطته الإدراكية وقبل أن يتحول العربي إلى الآخر (ولعل هذا قد حدث بعد وعد بيسور). وهي هذه المرحلة، كان من الممكن النظر إلى العربي على أنه الشرقي وممثل لأعيان الأصحاء الذين يمكن التشبيه بهم والتوحد معهم بلشقاء من أمراض المنى وحسب هذا الإدراك، يتحول العربي، كما أشار أمتون روبشتاين، إلى رومانسي تحيطه غلالات أسطورية كثيفة^(٤٦) ويسو أن بعض المستوطنين الصهاينة الأول، انطلاقاً من الرؤى الرومانسية التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك، كانوا ينظرون إلى استيطانهم على أنه نوع من «المودة إلى الشرق» المظاهر (في عقابن العرب المندس الملييه بالشر) وإلى أن «العربي» هو الحكيم الذي سيخلصهم كل الأسرار

ويأخذ بيدهم ويهديهم سواء السبيل وقد تبنى هذه الرؤية أحد رعماء موجة الهجرة الثانية مائير ويلكاسكي، وتبعه في ذلك جوزيف لويثور (صديق الرعيم الصهيوني حاييم برثر والذي حرّ صريعاً مع صديقه في إحدى المعارك مع العرب) ويلاحظ أن أول جماعة عسكرية صهيونية وني كانت تدعى الهاشومير كانت ترتدي ريتاً عربياً، وأن بعض أعضائها كانوا يعيشون مع البدو ليتعلموا طرقهم

وكان الأدب الصهيوني في هذه المرحلة الأولى معنياً بهذه الرؤية الرومانسية فكتب الكاتب الصهيوني موشيه مميلاسكي سلسلة من الكتب تحت اسم مصنامر هو «الحواجة موسى» يصور فيها - وبوصف شديد - حياة الفلاسفلين الذين تحولوا في هذه الكتب إلى بنو وزعاة جائلين يتكبرون لقارئ بشخصيات المهد القديم. وفي قصة قصيرة كتبها زئيف يافيتس عام ١٨٩٢ يود وصف لطفل يهودي في مستوطنة يتاح تكلمه يعلم من العرب كيف يرب جعده على الحرارة والصقيع وعلى الميضانات والقحط.

ومن أكثر الأمثلة تطرفاً وطرافة مسرحية أرييه أورلوف/ أريبي التي نشرت عام ١٩١٢ في مجلة هاشيلواح (لسن حلل لحركة الصهيونية في روسيا والتي كان يحررها ويصدرها أحد هماء في أوديسا). تصور المسرحية جماعة من المستعمرين الرواد من موجة الهجرة الثانية كانوا يعيشون في مزرعة جماعية، ويطلق المسرحية هي المستوطنة الصهيونية ناعومي التي ترفض حب اثنين من رملاتها وتؤثر عليهما بأنما جو لا عربياً يدعى «علي» وحيما يقتل أحد الرواد شاباً عربياً ينتقم علي لصديقه العربي المذبوح بأن يقتل الصهيومي ولكن حتى هذا الفعل لا يعير من حب ناعومي له، وتنتهي المسرحية بمونولوج عاصف تقول فيه ناعومي

مخاطبة إخوانها الصهاينة: روجي تحتفركم أيتها الديدان المتحصرة لقد علمت من المرعي المصري شيئاً لقد تعلمت منه هذه الكلمات: الله كريم (وهذا هو دعوى المسرحية)

ويبدو أن هذا التبار كان شائعاً لدرجة كبيرة حتى أن مجلة هاشيلواش نشرت مقالاً للناقد الصهيوني حوريف كلاويرر وجه فيه للوم للكتاب الصهاينة المستوطنين في فلسطين «الذين يصورون كل اليهود في فلسطين كمتعديين للعربية يشبهون العرب في كل شيء» وقد استمر هذا التبار وأخذ شكلاً ممايزاً هو الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ولإيمان بالأصول السامية المشتركة للعرب واليهود والتي عبّر عنها فكر الحركة الكنعانية التي أحرزت بعض لشيوخ بين المثقفين الصهاينة بعض الوقت (١٧).

ويجب ملاحظة أن هذا الموقف من المرعي، كيدوي وكبطل رومانسي، يتسم هو الآخر بغير كبير من التجريدية، فالمرعي هنا ليس إنساناً حقيقياً تاريخياً وإنما مقولة رومانسية مجردة ليس لها حقوق متعينة. كما أن المرعي هنا بدوي، أي إنسان متنقل غير مرتبط بالأرض، الأمر الذي يحسم المصالح الصهيونية ولا شك، فمعيد المرعي هو في واقع الأمر فصل له عن أرضه وعزله عن إنسانيته لتمهيداً لهصبح شيئاً يشبه الآثار الساكنة (التي سميها الانتبة في مصر) والصهيونية في هذا مرة أخرى، لا تختلف كثيراً عن «صهيونية العربية» التي كانت لا تمنع بتاتاً في الإعجاب «بالماضي القديم والأمجاد المايوتة، طالما أنها تظل شيئاً متحقيقاً مثل الآثار الفرعونية لا علاقة لها بالواقع، وطالما أنها لا تستخدم كمؤشر على ما يمكن لصاحب هذا التراث أن يجره في المستقبل.

أم مقولة المرعي كيهودي. فهي مقولة أكثر وضوحاً، فنحن إذا ما نظرنا لكثير من المقولات الإبراهيمية السابقة المرعي

كذلك، وتهتمش المري، والمري كحيوان اقتصادي، والمري كشخص يحركه لتعصب الديني، والقومية العربية كقومية عميلة للإنجيز، للأحظنا أن هذه ذاتها هي صمات اليهودي في أدبيات معاداة اليهود في الغرب، والتي كانت تهدف إلى إسقاط حقوق اليهودي وطرده باعتباره شخصية طعنانية هاضمية غير منتمة، وإلى إبادته في نهاية الأمر. وكب قذ، كانت هذه المصولات جرداً من ترسانة انصهيونية الإدراكية تشمت بها وتبنتها وطبقها على الآخر (أي يهود النمى)، ثم أسقطتها على الآخر الآخر، إن صبح التعبير، الآخر كامل الأخرية (أي المري)، ك محاولة تعييبه وتهميشه وتجريده وطرده وإبادته واجتثاث علاقته بالأرض، بملأ كما فعل الممانون ليهود باليهود داخل التشكيل الحصري الغربي.

تلخيص وتناج.

١ - تأخذ الخريطة الإدراكية أو الطيف أو النصل الإدراكي الصهيوني للعرب الشكل التالي. المري الحقيقي - لعربي المتعلم المري ممثلاً للأشيد - المري الهامشي - المري الغائب، ويلاحظ الابعاد التدريجي عن المري الحقيقي والوصول إلى الدوة ونقطة التحقق وهي المري الغائب عبر درجات متراصة التجريد.

٢ - يلاحظ أن ثمة تلاماً لرؤية لذات ورؤية الآخر، هي مقابل اليهودي ممثل الحضرة المربية وحامل مثالي، يوجد المري الشرقي المتعلم، وفي مقابل ليهودي الحاصل صاحب الحقوق المطلقة يجد المري الغائب الذي لا حقوق له على الإطلاق لأنه غائب تماماً من منظور الأرض المقسمة.

٣ - أطلقنا على هذا الإدراك أحياناً مصطلح «استراتيجية إدراكية» لا لأنه طريقة محددة في الإدراك (فمن وجهة نظر هذا البحث، لا يهم أن يكون الإدراك واعياً أم غير واع) وإنما لأنه إدراك تصوري وتحدد مصالحي الإدراك وتحييزاته ومشروعه الاستيطاني وقد كان هذا المصطلح الإدراكي أساسياً بالتعبير للصهيانية، فقد روجهم بإطار تشبيهي ومسر لهم الواقع بطريقة تتناسب مع هذه المصالح وسوخ لهم عمليات الاعتصاب والاختلال والقمع وأحياناً الإبادة، بن وحولهم إلى الضحية من وجهة نظرهم، وبالتالي أمكنهم الاستمرار في إنجاز مشروع استيطاني يتسم بالشراسة العريضة إذ نحن لا نعرف مشروعاً استيطانياً إحلاليّاً آخر في القرن العشرين

٤ - حاولنا في هذا الفصل أن نبين عن عملية التشهير بالصهيانية وهي عملية أثيرة لدى الكثير من الكتاب العرب في حق الصهيونية فالتشهير له طبيعة عملية، علامية، وله أهمية لعبويه بالنسبة لتجمهير أو في مجال تحسين الصورة في الخارج، ونكتها لا تמיד كثيراً هي عملية مهم الآخر والتنبؤ بسلوكه، وهو أمر أساسي في عملية إدارة الصراع ويعتمد أن صانع القرار العربي لا يد وأن يأخذ الإدراك الصهيوني العربي في الاعتبار، ذلك لأن هذا الإدراك هو أحد للكونيات بل والمحادثات الأساسية للكيس الصهيوني وأعتقد أن قتل محابرات العدو عام ١٩٧٢ في التنبؤ بالهجوم العربي المجيد إنما كان نتيجة جمودهم الإدراكي، إلا أن الإنسان في نهاية الأمر يقع ضريح تحير، والعربي الحقيقي القادر على أن يهضم وأن يمتلك ناصية الأسلحة الحديثة ويوقع الهزيمة بالمعصب ليس جرداً من ترسانة الصهيانية الإدراكية، ولذا لم يتوقع العدو ولم «ير» رغم أنه كان «يشاهد ويراقب ويسجل».

ومع هذا، هل يظل الإنسان الصهيوني قابلاً داخل خريطته الإدراكية، أم أنه ثمة لحظات إدراك للإنسان العربي الحقيقي؟ وما نتائج هذا الإدراك وما هو أثر الإدراك الصهيوني الذي تشكل فيه عام ١٩٤٨ على الإمبراطوريين؟ هذان هما السؤالان اللذان سأحاول الإجابة عليهما في المصل الثاني من هذا الكتاب.

هوامش الفصل الثاني

Richard Crossman, *A Nation Reborn: The Israel of Weiz-man, Bevin, (١) and Ben Gurion*, (London: Hamish Hamilton, 1969, P 58.

(٢) نفس المراجع، ص

Rapael Patai, ed, *The Complete Diaries of Theodore Herzl*, (vol), (٣) (New York: Herzl Press and Thomas Yessloff, 1960), Trans. Harry Zohn, vol 3, P 1361

وسنذكر إلى هذا المرجع، من الآن فصاعداً بمقابلة هوميوات هرتزل.

George Jabbour, *Settler Colonialism in Southern Africa and the Mid- (٤) die East* (Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, 1970), P 28.

(٥) يوميات هرتزل، الجزء الأول، ص ٢٢٨ - ٢٤٢.

(٦) صبري جريس، تاريخ الصهيونية، الجزء الأول (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث ١٩٧٧)، ص ١٢٩

Walter Lacquer, *A History of Zionism* (New York, Holt, Rinehart (٧) and Winston, 1972), P. 217.

سيشار إليه من الآن فصاعداً بكلمة «لاكر».

Simha Flapan, *Zionism and the Palestinians* (London: Croom, Helm, (A) 1979), P 55 - 56.

ويشير إليه من الآن فصاعداً بكلمة «فلايان»

(٩) نفس المرجع، ص ٢٩

(١٠) نفس المرجع، ص ٣٦.

(١١) نفس المرجع، ص ٧١.

Harry Truman, *Memoirs* 2 Vols, (Garden City, New York: Double-day, 1955), Vol I, P 159.

(١٢) فلايان، ص ٦٤

(١٤) نفس المرجع.

Amos Elon, *The Israelis: Founders and Sons* (New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1971), P 172.

Ehud Ben Ezer, ed., (New York: Quadrangle/The New York Times Book, 1974), P. 183.

يشير إليه من الآن فصاعداً بكلمة «بن عزر»

(١٧) لاكير، ص 1٧

(١٨) فلايان، ص ٥٦.

(١٩) بن عزر، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢٠) لاكير، ص ٢٤٧

(٢١) نفس المرجع.

(٢٢) نفس المرجع، ص ٢٥.

(٢٣) فلايان، ص ٦٩

(٢٤) نفس المرجع، ص ٦٩

(٢٥) لاكير، ص ٢١١

- (٣١) فلايان، ص ٦٥
- (٣٧) نفس المرجع، ص ٢٦
- (٣٨) نفس المرجع، ص ٦٥
- (٣٩) نفس المرجع.
- (٤٠) لاكير، ص ٣٦٢
- (٤١) نفس المرجع، ص ٢٥٨.
- (٤٢) فلايان، ص ١٩، ٣٩
- (٤٣) نفس المرجع، ص ١٩
- (٤٤) لاكير، ص ٢٥٨.
- (٤٥) صيري جريش السنوات الخمس العمان في تاريخ الوطن القومي اليهودي في فلسطين (١٩٢١ - ١٩٣٦)، ٤ محاولات التفاعل مع العرب، شلون الفلسطينية (تموز - أغسطس ١٩٨٥) ص ١٩
- (٤٦) Meir Ben-Horin, Max Nordau: Philosophers of Human Solidarity (New York: Conference of Jewish Social Studies, 1956), P 199
- (٤٧) ابلون، ص ٤١٥
- (٤٨) David Ben Gurion, Rebirth and Destiny Of Israel, (New York, Philosophical Library, 1954) P 38.
- (٤٩) فلايان، ص ١٣١
- (٥٠) بن هتزر، ص ٢٠٣
- (٥١) لاكير، ص ٢١٠.
- (٥٢) نفس المرجع، ص ٢٣١
- (٥٣) Abdelwahab M. Elmessiri, The Land of Promise: A Critique of Political Zionism (New Brunswick, New Jersey: North American 1977), P 143.

(١٤) خلايا، ص ٨٧

Shlomo Avineri, *The Making of Modern Zionism: The Intellectual Origins of the Jewish State* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1981, PP 139 - 150.

Amnon Rubinstein, *The Zionist Dream Revisited: From Herzl to Gush Emunim and Back* (New York: Schocken Books, 1983), PP 56 - 60

مبتدئ إلى هذا الكتاب من الآن فصاعداً بكلمة «رويشنايخ».

(١٧) لاكهر، ص ٢٢٨.

الفصل الثالث

الاستجابة الصهيونية للعربي الحقيقي

لفكر الصهيوني الروسي آحاد همام من أوائل المفكرين الصهاينة الذين أدركوا العربي كإنسان حقيقي تاريخي، وقد أشرنا في الفصل السابق إلى احتجاجه منذ البداية على طريقة معاملة الصهاينة للعرب، وقد نبههم إلى أن العرب - على عكس ما تنمي الأسطورة الصهيونية - ليسوا هائبين، وهاجم مقاطعة الصهاينة للعمل العرب (في خطاب له بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩١٢)^(١)، باحتجازها محاولة صارخة لتهميشهم وتعييبهم وقد وصل إدراك آحاد همام البروة حينما أدرك الحاحام الروسي أن حلم لمودة إلى صهيون، كما فسره لصهاينة وكما أخذ في التحقق «يؤدي إلى تخسيس ترابها بدم الأبرياء» أي أنه رأى الجثة التي يحاول انصهاينة إجماعها، ولذا، وعلى الرغم من أن فكر آحاد همام فكر عنصري يهتشوي إلى أقصى درجة (فهو صاحب فكرة اليهود كمسوير أمة، وهو صاحب فكرة تحول فلسطين إلى مركز ثقافي لليهود ولليهودية)، إلا أن العربي الحقيقي قریص بمعه فرضاً على وعيه ولذا فإن الحاحام لم يملك إلا أن يقول: إن الإله قد أنزل بي العذاب إذ أمد في حيلاتي حتى أرى بعيني رأسي أنني قد جدت عن جادة الصواب. إذا كان هذا هو الماشيح (المسيح المخلص

اليهودي). فإني لا أود رؤية حدودنا^(٢)، أي إنه لا يود رؤية تحقيق الحلم (أو الكابوس) انصهوني، لتحقيق الحلم يعني تقييد العربي، وتقييد العربي، كما رأى هو بنفسه يعني القتل والتسلل والدعاء لعارفة.

ومن أهم المفكرين والمستوطنين الصهيونية الذين تخطوا التحيز الإدراكي الصهيوني ورأوا العربي في كل تركيبته التاريخية والإنسانية إسحق أشكندري، أحد كبار المسؤولين عن الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والذي حذر لصهيونية من سطوتهم وعجزهم عن رموض لباطن الأمور^(٣)، والذي حاول أن يبين لهم أن الحق قد يكون في جانبهم من الناحية القانونية (السطوتية) ولكن الموقف يصبح أكثر تركيباً إلى تمت رؤيته في إطار سياسي أخلاقي^(٤).

وقد حذر أشكندري، في محاضرة له ألقاها عام ١٩٠٥ على بعض مندوبي المؤتمر الصهيوني السابع (وبشرت فيما بعد في هاشيلواخ عام ١٩٠٧)، من الموقف الصهيوني الشائع (التبريري في واقع الأمر) القائل بأن فلسطين غير معلومة بسبب نقص في الأيدي العاملة أو كسمل السكان، ويبيّن أنه «ليس هناك حقول مقمرة، بل على العكس، يحاول كل فلاح أن يصيف إلى أرضه من أرض البور المجاورة لها.. وعندما تشتري قطعة أرض كهذه، بعد عنها مرارعتها السابقين تماماً، فتحرم بهذا اشخاصاً بائسين من ممتلكاتهم الضئيلة وسلب لقمة عيشهم ولا يزال حتى اليوم بين في أدبي صحيف النساء العربيات صدم تركت عائلاتهن قرية الجاعوبة، وهي مستوطنة روش بيها، وانتقلن للسكن في حوران شرقي نهر الأردن فقد ركب الرجال على الحمير ومشت النساء وراءهم باكيات بملأ السهل ينحيهن. ولنعطلات، وقموا، وهبلوا

الحجارة والثراب .

.. إن شراء [أراضيهم] على هذا الشكل يترك في قلوبهم حرجاً لا يهدل، وسيتذكرون دائماً ذلك اليوم الملموم الذي انتقلت فيه أملكهم إلى أيدي المرياء لأنه إذا كان هناك هلاخون يروون حملهم بعرقهم وجليتهم فهم العرب وفي النهاية سيعملون على استرداد ما سلبته منهم قوة الذهب .. وبعد أن يرسم أبشتاين صورة الفلاح العربي الحقيقي الذي يحب أرضه ويكد ويتعب من أجلها يصعبه في إطار سياسي عربي تاريخي واسع «إن هذا الشعب، والذي لم تستمد المدينة حتى الآن قواه وتصميمه، ليس إلا جزءاً صغيراً من الشعب الكبير الذي يسيطر على كل المناطق المجاورة سوريا ولبنان والجزيرة العربية ومصر.. ولهذا من المستحسن أن يعرف من هو الفريق الآخر.. وأن يأخذ بالحسبان قوتنا والقوى التي تواجهنا ويمكننا القول إنه، حتى الآن على الأقل، لا توجد حركة عربية بالمفهوم القومي والسياسي لهذا التعبير. ولكن لا حاجة لهذا الشعب بمثل هذه الحركة.. إنه كبير وكثير ولا حاجة بعينه، لأنه لم يمت أبداً ولم يقطع وجوده يوماً..»

ويسوق في تطوره الجماعي كل شعوب أوروبا - ينتمي ألا يصعب بحقوقه، ولا يستغل ضده حيث بعض إخوانه الذين يظلمونه. لا تتجرشوا بأحد نائم! ولا تأموا جاسب الرماد الذي يعطي الجمر، فقد تطلق شرارة تنهب جريقاً لا يطفأ» ولم يكتب أبشتاين بالشكوى واسحب على طريقة آحاد همام بل قدم توصيات محددة، فاقترح على المستوطنين ممارسة نشاطهم الاستيطاني في فلسطين من خلال اتفاق مع «حرب الفلاحين» وبعد الحصول على موافقتهم، لأنهم أكثرية سكان البلد⁽⁵⁾ كما اقترح محاولة «إقامة تحالف عربي صهيوني بدلاً من التحالف التركي

الصهيوي، المقترح أنه ك(٦)

وبالاحظ، أن إدراك أشتاتين للعربي يحتمل جذرياً من الإدراك الصهيوي العام، وكان إدراكاً ولا شك ضجاعاً لم يحاول فهميش العربي أو تعييبه، ولم يختبئ وراء أية مقولات صبايية كاذبة، إذ اعترف بحقيقة القومية العربية والطابع السياسي القومي للتصالي العسائتي، وبين عياء مقولة «شرق فلسطين».

ولم يكن إدراك العربي الحقيقي أمراً يقتصر على الشخصيات الصهيوية المبهمة أو الهمشية مثل أحاد هعام أو أشتاتين، بل إنه نجد أن كثيراً من رعماء الصهيونية وممكروها قد عاشوا لحظة لإدراك هذه فهرتري على الرغم من عمق سطحيته (إن صح التعبير) وعلى الرغم من عدم فهمه لكثير من الأفكار السياسية هي عصره، كان قادراً على إدراك تاريخية الواقع العربي وتركيبته وقد أضربا إلى ريارته إلى لقاهرة وإدراكه أن الاستعمار ذاته يخلق الجرثومة التي تقضي عليه، وذلك لأنه «يعلّم الملاحين الثورة» (٧) ثم أبدى هرتزل دهشته لفض البريطانيين في إدراك هذه الحقيقة البسيطة وبالحظ هنا أن هرتزل لا يجري العرب أمامه إلى مسيحين ومسيحيين أو أثرياء أو فقراء، وإنما يدرك وجود تيار تاريخي له ماضي وحاضر ومستقبل، وأنه تيار سياسي قومي يهدد أعين الإمبراطوريات

وحسب بن جوربون ذاته لم يملت من لحظة الإدراك هذه ففي عام ١٩٢٨ كتب التعميم المستعصم التالي بثورة العسائبيين أنه ك، والذي ستمتصه برمه نظراً لأهميته «ابتدء أحب أن أبدأ كل الأوهام التي سادت بين الرهاق والخاصة بأن الإرهاب [العربي] هو مسألة مجموعة من العصائيات ممولة من الخارج. نحن هنا لا نحاذر إرهاباً وإنما نحاذر حرباً، وهي حرب قومية أعلنها العرب

علينا وما الإرهاب سوى إحدى وسائل الحرب هذه مقبومه فعالة من جانب القلمستطيين لا يمتبرونه همصايأ لوطنهم من قبل اليهود، ولهذا هم يحاربون ووراء الإرهابيين توجد حركة قد تكون بىائية ولكنها ليست حالية من المثالية والتضحية بالذات ومتد رعن شيخ مر للين انقسام، أصبح واصحأ لي اتنا تجايه ظاهرة جديدة بين العرب. هذ ليمر الناشاشيبي أو المفتي فهذه ليست مسألة مصالح سياسية أو مالية شخصية، بل الشيخ انقسام كلن ريلوتياً [غبوراً ديباً] على استمداد للتصحية بحياته من اجل مثل أعلى وعن اليوم لا نوجه واحداً وحسب مثله وإنما نواجه المئات بل الآلاف [أمثاله] ووراءهم كل الشعب العربي نحن نقول من أهمية لمعرضة الثورية في احاديثنا السياسية في الخارج، ولكن يبغي علينا ألا نتجاهل الحقيقة فيما بيننا إن احترامنا للعقائق السياسية هو الذي يجعلني أصرُ على ذكر الحقيقة. والاعتراف بهذه الحقيقة يؤدي بنا إلى سائج حتمية وخطيرة بخصوص عملنا في فلسطين.. يجب ألا نبيي الآمال على أن العصصيات الإرهابية ستال منها التعب، إذ إنه إذا ما نال من أحدهم التعب سيحل آخرون محله، فالشعب الذي يحارب ضد اغتصاب أرضه لن يقال منه التعب سريعاً.. فمن الأسرئهم أن يستمروا في الحرب والا يكلؤوا ولا يتعبوا والعرب الفلسطينيون ليسوا بمرردهم، فالسوريون سيمدون لهم يد المساعدة فمن وجهة نظرنا هم غرياء. ومن وجهة نظر القانون هم أجانب، ولكن بالمسبة للعرب هم ليسوا أجانب على الإطلاق. ، إن مركز الحرب هو فلسطين، ولكن أبعادها أوسع من ذلك بكثير. وحيما نقول إن العرب هم البادئون بالعنوا ونذفع من أنفسنا، فإننا نذكر نصف الحقيقة وحسب، قبلنسبة لأمد وحياتنا نحن نقوم بالدفاع عن أنفسنا، ووضمنا المعنوي

والجسدي ليس شيئاً ويمكننا مواجهة لمصائبنا وإذا ما سمح لنا بتمتعة كل قواها فإنه لا يوجد أدنى شك بالنسبة للنتيجة. ويكن القتال ما هو إلا جانب واحد للصراع الذي هو صراع في جوهره سياسي ومن ناحية السياسية، نحن البائدون بالعدوان وهم المدافعون عن أنفسهم إلى الأرض أرضهم لأنهم قاطنون فيها ويتم نحن يريد أن تأتي وتستوطن وبأخذها منهم. حسب تصورهم... يجب ألا نطرح أن الإرهاب هو نتيجة لنعالية هتلر أو موسوليني قد يكون هذا عاملاً مساعداً ولكن مصدر المعارضة يوجد بين العرب أنفسهم^(٨).

لقد اهتمنا كلمات بن جوريون بشيء من التمهيد نظراً لجديتها وحدتها، فتحليل بن جوريون للوضع في فلسطين لا يختلف إلى حد كبير عن أي تحليل ثوري عربي أو إسلامي لطبيعة الصراع وهو يضع القضية في إطارها السياسي لقومي الصحيح ويرأها في بعدها التاريخي. - في الماضي والحاضر والمستقبل والأكثر من هذا أن كلماته تدل على احترام لعدوه وعلى تمييز بين الأعداء والشيوخ من جهة (أي القيادات الأسقفية) والقيادات البدائية الجديدة من جهة أخرى، وقد هجر موشيه شاريت هو الآخر في أحاديثه ويوميته وخطبه عن إدراكه للعربي انجذابي ففي خطاب له في ٩ يولييه ١٩٢٦ أمام اللجنة السياسية لحزب الحادي، عرّف الثورة العرصة بأنها ليست ثورة الأفندية الدين يدافعون عن مصالحهم الشخصية إنما هي ثورة الجماهير التي تمسها المصالح القومية الحقة، وأضاف أن الفلسطينيين يشعرون أنهم جزء من الأمة العربية التي تضم العراق والحجاز واليمن، فلسطين بالنسبة لهم هي وحدة مستقلة لها وجه عربي، وهذا الوجه أحد في التعبير حقيقة من وجهة نظرهم كانت بلده عربية،

وهي ذا قد أصبحت يهودية ورد الفعل لا يمكن أن يكون سوى المقاومة وهي ٢٨ سبتمبر من نفس العام، كن شاربت شاطراً هي تشخيصه للحركة العربية على أنها ثورة ومقاومة قومية وأن القيادة الجديدة تختلف من القيادات القديمة^(٩). كما لاحظ وجود عناصر جديدة في حركة المقاومة اشتراك المسيحيين العرب بل والنساء المسيحيات في حركة المقاومة^(١٠)، كما لاحظ نشاط المثقفين العرب مع هذه الحركة ويُنس أن من أهم دوافع الثورة الرعية في إنقاذ الطالب العربي الفلسطيني وليس مجرد معارضة اليهود^(١١)

بين الإدراك والسلوك.

من كل ما تقدم يمكن القول إن إدراك الصهاينة للعربي كان يتخطى في بعض الأحيان تمييز وانتمية المباشرة وسحب الاعتداليات وصولاً إلى الحقيقة التاريخية الحية ومن هنا يطرح السؤال نفسه ثم لم تقم هذه العنظمات الإدراكية، رغم قدرتها، بدور في تشكيل رؤية الصهيونية؟ وإذا لم تقم بدور في تشكيلها فلم لم تدخل عليها قنراً من التركيبية على أقل تقدير؟

بعل الإجابة على هذا السؤال عسيرة بعض الشيء لأننا هنا لا نتعامل مع عالم الأفكار ولا حتى مع كوعية نظوائها وتحدها واكتسبها ملامح محددة، وإنما نتعامل مع مدى تأثير الأفكار في الواقع، وهذه الرقعة التي تلتقي فيها الأفكار بالواقع رقيقة مبهمة غامضة صليبية ليس بها قوانين محددة وإن كانت تحكمها قوانين، فإنه لم يتم اكتشافها بعد.

ومع هذا لن يصيبنا الضمير وسنحاول أن نجيب على الأسئلة التي طرحناها، ولكن ينبغي مع هذا أن ننبه القارئ

للطبيعة الذهنية لمحاولتنا التفسيرية. ويجب أن نؤكد ابتداءً أن الإدراك مهم كان عميقاً وجدياً فإنه لا يترجم نفسه بالضرورة إلى فعل فاصل أو سلوك بعينه وإذا أردنا أن نكون أكثر حيادية ووضوحاً قلنا إن الإدراك الجذري. جاسبار أنه يصل إلى الواقع وجذوره جذري وعصب وقد يؤدي إلى راديكالية ثورة تطمح إلى تغيير الواقع أو إلى راديكالية فاشية تحاول الحفاظ عليه بكل شراسة ويمكن لإدراك ما أن يتحدى الرؤية السائدة ولكنه يمكنه أيضاً أن يعمقها ويوقف ذلك كله على مركب هائل من العواصم التاريخية والسياسية والاجتماعية والنفسية والعصبية ورغم أن إدراك العربي الحقيقي يمثل لحظة كشف لنفس الحقيقة بالنسبة لكل الصهاينة، إلا أنه يترجم نفسه إلى استجابات صهيونية وأشكن سلوكية متباينة سنحاول دراستها بتقسيمها إلى ثلاثة أنماط أو نماذج.

١ هناك نمط من الصهاينة أدرك طبيعة النجس الكامن في عملية تقييد العرب هذه فتتكرر لرؤية الصهيونية تماماً وتحملي عنها وعاد إلى أوروبا وهناك كثيرون من حزب يو عالي صهيون (عمال صهيون) عادوا إلى لاتحاد السوفييتي بعد الثورة البلشفية حتى يشاركوا في الثورة الاجتماعية وحتى لا يشاركوا في الإرهاب الصهيوني ولكن هؤلاء فئة نادرة على ما يبدو، وعلى كل حالهم يهتمون تماماً من التاريخ الصهيونية ومن الإدراك الصهيوني (اليهودي العائلي) ولذلك فهم لا يؤثرون من قسرب أو جمهد في البرنامج السياسي الصهيوني أو سلوك الصهاينة نحو العرب ولكن قلنا لو أعطنا كتاباً لتاريخ الصهيونية ومعتسماً عن هؤلاء العائلين لوجدنا أن هذا النمط أكثر شهوعاً مما نتصور، ولعله قد يكون من المبد والطريف في ذات الوقت أن يقوم أحد الباحثين العرب

بكتابة دراسة في هذا الموضوع.

٢ وهناك نمط ثان من الصهاينة أدرك العربي الحقيقي ولكنه لم يصرح رؤيته الصهيونية جابياً، ويدل محاولات يائسة من أجل إعادة صياغة المشروع الصهيوني بطريقة مستوعب وجود العربي الحقيقي وأحد في الحصان

ولكن من الملاحظ أن مثل هذه الشخصيات تحولت بالتدريج إلى شخصيات مبهمه وهامشية (من وجهة نظر صهيونية) تنمي إلى منظمات هامشية ويدافع عن رؤية هامشية لا تؤثر على المركز أو الممارسات الأساسية ولعل سيرة أيشتاتين وأرثر روبين (وهو مسؤول صهيوني آخر من الاستيطان) وعصرهما خير دليل على ذلك فهؤلاء الصهاينة نظراً لاحتكاكهم الدائم بالواقع العربي، أدركوا مدى تركيب الموقف مطرحوا صيفاً مركبة نوعاً مثل الدولة ثنائية القومية ومطالبوا بالتعاون مع الحركة القومية العربية وأصبحوا جمعية عبرت شالوم ثم جمعية لليهود لإجراء حوار مع العرب يعترف بهم ككيان قومي ولا يتعامل معهم كمجرد مخلوقات اقتصادية ولكن المحاولات كلها ظلت في نهاية الأمر، تعبيراً عن صميم معذب أكثر منها ممارسات حقيقية ولعل يهودا ماجنيس من أكثر الشخصيات المأساوية في تاريخ الصراع العربي الصهيوني، فقد أدرك الخلل العميق في وعد بلفور منذ البداية بإكباره وتقبيبه للعرب، وأدرك مدى عمق الصراع المحتمل بين المستوطنين الصهاينة والعرب؛ ولذا قضى حياته كلها يحاول أن يصل إلى صيغة صهيونية تنيرها لحظة الإدراك النادرة دون جدوى. وانتهى به الأمر إلى أن قنكر به مجلس الجامعة العبرية التي كان يرأسها (الصهيوني الهامشي؟) ويمكن أن نذكر في هذا السياق آحاد مهام نفسه الذي تعلم أن يعيش مع التناقض الحاد، بعد أن رأى النماء العربية

النازقة وبعد أن ولول وكأنه أخذ أسبغ العهد القديم، يستمطر
البعثات على شعبه لما اقترف من آثام، ومع هذا نجد بعد ذلك
في لندن مستشاراً لحاسم وابرماس، في الصرة التي سبقت إصدار
وعيد بلصور، يسدي له النصيح بخصوص كيفية الاستيلاء على
فلسطين، بل أن يذكره من قريش أو بميد، بالعربي الحقيقي أو
بالدماء النازقة

ويتمهي به الطاف إلى أن يستعصر هو ذاته على الأرض
الفلسطينية، بكل ما يحمل ذلك من معاني اعتصاب وقهر وتكته
بعد وعد بلصور، ظلت تضامره الشكوك، حتى وهو في فلسطين،
بخصوص اشروع الصهيوني، وظل موقفه مبهماً حتى نهاية
وهكذا نجد أن محاولة إعادة صياغة الرؤية الصهيونية وتأكيد
وجود لعربي الحقيقي أدى إلى تهيش مثل هؤلاء الصهاينة ودفع
بهم بعيداً عن المركز وعن مجال صنع القرار، وبدأ لم تظهر
سياسة صهيونية هائلة تجسد الإدراك الصهيوني للعربي الحقيقي!

٢ - وهناك أخيراً النمط الثالث أكثر الأنماط شيوعاً، وهو
النمط الذي يؤدي إدراكه للعربي الحقيقي إلى مزيد من الشراسة
الصهيونية.

وهنا يجب أن نطرح هذا السؤال، لم هذه الاستجابة الشرسة
من جانب هؤلاء والأهم من ذلك بما يفسر شيوع هذا النموذج؟
ومرة أخرى سنحاول أن نطرح التفسيرات الأخلاقية جانباً، فهي
تفسيرات دهائية مطلقة ولن يعيدنا كثيراً أن نقول إن استجابة هذا
النمط الثالث نابعة من عمق الشر الكامن في أنفسهم (فسيحة
بشر ووحدة تقريباً في كل البشر) وبدأ، فلنحاول أن نصل إلى
تفسير يعنى إدراكنا بتفاصيل الواقع وآلياته

نقد ذكرنا من قبل أن ثمة أسباباً مختلفة هي التي تحدد

كيفية تحول إدراك ما إلى سلوك، وقلنا إنها أسباب سياسية واجتماعية ونفسية وعصبية ولكن لا يمكن لنا، في حدود هذا البحث، أن نفحص في الجوانب العصبية أو النفسية (مع إدراكنا لأهميتها) لأن مثل هذا العمل يتطلب معرفة حقائق ومعطيات ليست متوفرة للباحث الآن كما أن الجوانب العصبية والنفسية قد تفسر الاختلافات الفردية بين الزعماء والمفكرين الصهاينة ولكنها لا يمكنها أن تفسر بآية حال الاختلافات العامة ذات الطابع لسياسي والاجتماعي

ولذا، قد يكون من المفيد أن نحاول التفكير في الأسباب السياسية والاجتماعية وحدها. وقد بينا من قبل أن التحيز الأندولوجي هو أحد المحددات الأساسية للإدراك ويمكننا هنا أن نصيف عنصراً آخر وهو ميران القوى. فقبل عام ١٩٤٨، كانت الإمبراطورية العربية مهيمنة على معظم العالم بما في ذلك العالم العربي، ولم تكن القومية العربية قد تجذرت معالها بعد كقوة بحسب حسابها وتم يكن بوصف هي فلسطين أحسن حالاً، إذ إن القوى الاجتماعية هناك لم تكن هي الأخرى قد تبلورت، وبالتالي لم يكن قد تبلور بعد التفكير ثوري نخالي قادر على تعبئة الجماهير من كل الطيقات والأديان ضد عدو يهددها كلها بالطرد ونقاء، أي إن القوى العربية كانت غير قادرة على الدخول في حور مصانع مع العدو. لكل هذا كان لعربي الحقيقي حينم يظهر على شاشة الوعي الصهيوني، ييهوت ويشعب ثم يصبح هامشياً ويحتفي بموارين القوة التي لم تكن في صالحه. فهو أن هذا العربي الحقيقي كانت تساعد القوة اللارمة لثبت الإدراك في وعي الصهاينة وبطل العربي لحميمي حقيقياً ثابتاً يقدم له حساب وورر ولتحول هذا الإدراك إلى برنامج سياسي وإلى سلوك محدد يأخذ

العرب في الحسب وربما أمكن حينئذٍ لشخصيات صهيونية مثل أبشتاين أن تصبح الشخصيات القبلية صاحبة القرار، ولكن العربي كان ضعيفاً وأصبح من الممكن تعييبه أو تهمة به إن ما اقترحه، من الفاحية التهجية، هو أن يرى بنية الإدراك وشكله (نصف الإدراكي) لا هي صوء الخيرات الأيديولوجية وحسب وإنما هي صوء بنية بقوة الموضوعية (أو موارد انقوى) إذ لا يمكن أن يرى الواحد دون الآخر ولا يمكن تقصير الواحد دون الآخر، فالعربي ككيان إمبريقي كان موجوداً أمام الجميع، والإحصائيات لا بد وأنها كانت متوافقة، والصراعات كانت دائمة، واستعدادات الصهاينة للدفاع عن أنفسهم ضد العرب كانت قائمة على قيم وسبق منذ أول يوم ومع هذا، ظهر العربي متخلفاً وهامشياً في وجدان الصهاينة، وحين ظهر حقيقة فقد تقرر تهمة به وتعييبه حسبما يتطلب لتصير الأيديولوجي الذي تساهد القوة هذا هو ما يفسر موقف النمط الثالث (والأكثر شيوعاً) من الصهاينة الذين يسمون «المتطرفين» ولذين يسميهم «الواهميين». فهؤلاء أدركوا العربي «الحقيقي» فأصبحوا أكثر صراوة وشراسة بسبب هذا الإدراك لا رصماً عنه. وعلى ذلك فإن «لآخر» إذا أصبح حقيقة فإنه يشكل تهديداً حقيقةً للذات، أما إذ كان هامشياً فإنه لا يمثل خطراً كبيراً إن الصهاينة المتطرفين هم أكثر الناس إدراكاً لخطورة لعربي الحقيقي ولطبيعة المشروع الصهيوني ولموارد انقوى هي ذات الوقت.

الجدار الجديد.

ولنصرب مثلاً على ذلك برعيم لحركة الصهيونية النصارحية فلاديمير جابوتسكي الذي أدرك منذ البداية أن

الصراع بين الصهيونية كحركة استيطانية معتمدة بالأرض وبين العرب أمر حتمي، فلم يخبئ وراء المسحابة لكثيفة من الاعتداليات الصهيونية أو الحديث عن اليهودي كعربي أو لحقوق اليهودية الأزلية، فقد كان هو ملجأ علمائياً يؤمن بالقومية كقيمة مطلقة كما لم يخبئ وراء الحجج السيراليه عن شراء فلسطين، أو وراء الحجج الاشتراكية عن رجمة قومية العربية وحلافه من الاستراتيجيات الإدراكية وإنما أكد دون موارد أن الصهيونية جزء من التشكيل الاستعماري العربي الذي لم يكن بمقدوره أن يعقق انقشاره إلا بعد السلاح، ولذلك طالب منذ ليداية بتسليح المستوطنين الصهاينة مبنياً مثلاً على تسليح المستوطنين الأوروبيون في كيب وفي كل مكان^(١٢)، ومعنى ذلك أن جابوتسكي قد طسب بتعميد مؤزى أقوى بطريقة تخدم تصوير الصهيوني، فالعرب، حسبما صرح، لن يقبوا بالصهيونية (وتصويرتها ورؤيتها) إلا إذا وجنوا أنفسهم في مواجهة جدار حديدي^(١٣).

وبمس التهجة توصل إليها من جورجون إد إلى إدراكه للعربي الحقيقي والتزامه في ذات لوقت بالرؤية الصهيونية وحقوق اليهودي الحالي جعله يدرك أنه لا مناص من عرض هذه الرؤية عن طريق القوة وحد السيف ولذا، لم يبحث لرصيم الصهيوني عن سلام مع العرب، فمثل هذا السلام - على حد قوله - مستحيل، كما أنه لم يحاول أن يحد اتفاقية معهم، فهذا ولا شك سراب. إن السلام مع العرب، بالنسبة لهن جورجون، إن هو إلا وسيلة وحسب دأماً العاية فهي الإهامة لكاملة للصهيونية، لهذا فقط نود أن نصل إلى اتفاق [مع عرب] إلى الشعب اليهودي لن يوافق من ن يجر على أن يوافق على أية اتفاقية لا تخدم هذا الغرض... وبذا فإن الاتفاق الشامل أمر غير مطروح الآن.

[فالعرب] لن يستسلموا، هي إرثهم يسرائيل (لا يعد أن يسرولي عليهم اليأس لكامل، يأس لا ينجم عن فشلهم في لاصطريات التي يثيرونها أو التمرد الذي يقومون به وحسب، وإنما ينجم عن نموذ [نحن أصحاب لحقوق اليهودية المثلثة] في هذا البلد، ثم استمر يقول، «لا يوجد مثل واحد في التاريخ أن أمة فتحت أبوابها وملكها [للأخرين] أن تشحيصي للموضوع أنه سيتم الوصول إلى اتفاق [مع العرب] لأنني (أمر بالقوة، قوتك التي ستتم، وهي أن حققت هذا اليوم، فإن الاتفاق سيتم إبراهيم^(١٤) وهكذا تم عند اتفاقيات السلام مع العرب.

وماذا عن شاريت الذي عرف العربي الحقيقي عن عرب وكتب عنه مدافعاً هنا أيضاً سجد أن المثل الأعلى الصهيوني الذي تساعده لقوة يمرض نفسه عليه ويحدد له الواقع، كما يحدد له طريقة سلوكه، ولذا صرح قائلاً: «إن معاناة العرب لا تهمنا لأننا مسحق قوميتنا [هومية اليهودي انخالص]، وممكنهم هم أن يحصلوا على بلاد أخرى نحن نهدف إلى إنشاء دولة ولكن يجب ألا نستخدم هذه الكلمة»^(١٥) وهو أيضاً يتبنى سياسة الحداد الحليدي، شأنه في هذا شأن بن جوريون وجابوتسكي، يقول: «لا اعتقد أننا منتمين إلى اتفاق مع العرب حتى تقوموا فوقنا» .

.. ولكني اعتقد أنه ستعبر اللحظة حين تصبح أكثر قوة، وسيتم اتفاقاً ثابتاً مع بريطانيا لعظمى، كقوة مع قوة أخرى، ومنصل إلى اتفاق مع العرب كقوة مع قوة أخرى. لكن الشرط الأساسي هو ألا ينظر لنا العرب باعتبارنا قوة مستعملة وإنما باعتبارنا قوة فعيلة»^(١٦)

وهكذا يمكن القصر من العربي الحقيقي إلى العربي الهامشي ومنه إلى العربي الغائب، كما يمكن القصر من يهودي

ننسى إلى اليهودي الحالي، أي انقصر من الواقع إلى المثل الأعلى الصهيوني لتحرير، عن طريق العنف والقوة، وكلما راد العربي في الوعي الصهيوني لا بد وأن تكون القوة أكثر ضراوة لصد الهوة بين الحقيقة والمثل الأعلى، هذه هي بنية الأيديولوجية هذه هي طبيعة الإدراك هذه هي موازين القوى. وهاكم هي الوسائل. وقد طرح أحد الصهاينة الذين أدركوا وجود العربي الحقيقي السؤال التالي في أحد المؤتمرات الصهيونية «هل تريد الحركة الصهيونية الحرب مع العرب أم لا؟» (١٧).

وبعد طرح السؤال على هذا النحو ينفي كثيراً من الصوـء عن القضية موضع البحث. فهل المسألة مسألة «إرادة» و«رغبة» أم أنها مسألة بنية فكرية تحوي دجتها «الحد الأقصى من العنف» وحينما تأخذ هذه بنية شكلاً مؤسسياً سائده انقوة فهل يمكن لإرادة الأفراد أن تحكم «بيها» أم أنها تتخلى تلك الإرادة وتصبح لها دسايكية مستقلة تكون كل من يقف في طريقها؟

ويمكن لوإيرمان أن يساعدنا في الإجابة عن هذا السؤال فهو كلل يدرك تماماً أن الصراع موضوعي، له بنية مستقلة عن إرادة الأفراد، وأنه لو تم تعديل الرؤية الصهيونية التي تحاول تمهيد العربي، بحيث يمكن لهذا العربي تحقيق وجوده، ولنقل داخل إطار حكومة ديموقراطية، فإن مثل هذا الوضع عواقبه الوخيمة إذ إنه سيؤدي إلى «سيطرة العرب على الأمور».

إن هذه الحكومة ستتحكم في الهجرة والأرض ولتشريع، وبذلك سيحقق لصهاينة السلام ولقاه «سلام انتقالي» (١٨). والصهاينة، شأنهم شأن كل من في موقفهم، كانوا لا يبحثون عن سلام انتقالي لأنفسهم وإنما للآخرين. ولذا، لا بد من إسقاط العربي الحقيقي، فإذا فرض نفسه على وعي الصهاينة فإنه لا بد

من تهيمشه وتهشيمه وتعييبه وإذا طما هذا العربي مرة أخرى على سطح نوعي، فإن ردة الفعل لا يد وأن تكون مرهلاً من الطرف هي مواجهة الخطر الحقيقي من العربي الحقيقي، ولذا فإن الاتفاق الذي يسعدت عنه جابوتسكي ثم بن جوريون وشاريت وويرمان ليس اتفاقاً مع العربي الحقيقي إنما هو اتفاق مع طرف آخر ثم تمبييه أو ترويضه عن طريق القوة والحداد الحديدية، ولما فهو يضع بالبقاء حسب الشروط التي يرضها تحيز الآخر وإدراكه، وهذه رؤية ولا شك واهمية إذ كيف يمكن أن يتوقع من العرب أن يرضخوا طواعية لرؤية تلني وجوبهم؟

الاستجابة العربية.

وهذا ما أدركه «المتحطمون» المميون منذ البداية فرفع كل محاولات الصهاينة العلنية عن الحوار والتفاوض والأحوه العربية اليهودية والأحد بيد العرب، كان العرب يعرفون أن الصهاينة قد اتوا تحت راية للاستعمار الإنجليزي وبمساعدة جيوشه ويورجيه، وأن وعد بلفور قد وعدهم بملسطين، وأنه أشار بشكل عام إلى حقوق «اجتماعات عبر اليهودية» أي إلى الصهاينة اللطية ذاتها قد قامت بتهميشهم وتعييبهم على مستوى المخطط، ولم يبق سوى التنفيذ والممارسة ولم يكن العرب ضافلين عن المفاهيم الصهيونية مثل لعمل العبري أو عن المؤسسات الصهيونية مثل الكيبوس والهستدروت والهاجاناه التي تستهمدهم وتستعبدهم وتعييبهم وفي علاقاتهم اليومية مع مؤسسات إداره لانتداب، كانوا يعرفون أن بوايه وطنهم قد فتحت على مصراعيها ليهود الغرب يستوطنوا فيه، كما كانوا يدركون أنه بعض النظر عن النوايا الطيبة لدى بعض الصهاينة بحاه العربي الحقيقي (مهما خلعت الية) ويقض

النظر عن مدى حديقهم في دعاويهم (مهما بلغت درجة الجدية).
خلال الواقع الذي كان أحداً في التشكل كان واقعاً صراعياً،
هائيهاية كانوا يهتفون دائماً إلى ريادة عند اليهود في فلسطين
والى إقامة كيان اقتصادي اجتماعي (عسكري) معضل، ومهيمن
هي نهاية الأمر

وقد وصف نجيب عاروري، المؤلف الفلسطيني العربي
المسيحي، الذي كان أول من أدرك حقيقة ما يحدث الوضع بقوله
«الصراع مهممتمم إلى أن يسود طرف عبي الأخر»^(١٩). وهذا
الراى ليس راباً متشائماً يكر مثاليات نبشر وإنما هو راى يحكم
على هذه المثاليات في صوء العلومحات والممارسة، وفي ضوء ما
تشكل في الواقع بالعمل ونحن إن لم نعمل ذلك أصبح «المثل الأعلى»
صباحاً يمشي الأبيصار وليس منارة تضئ للأنس طريقه وتساعد
على تغيير واقعهم إلى واقع أفضل وهذا ما قاله أحد القارة
العسطينيين لأحد أعضاء جماعة برنت شالوم من دعاء السلام مع
العرب: «أحب أن أخبرك بكل صراحة أنني فضل أن أتعامل مع
شخص مثل جابوتسكي على التعامل معك. أعرف تماماً أن
جابوتسكي هو عدونا اللود وأنا ينبغي أن محارب صبه، بينما
يبدو أنك صديقنا ولكن، بكل صراحة، لا أرى أي فارق بين
هدفك وهدف جابوتسكي، أنت أيضاً تتمسك بوعد بلور وبوطن
القومي والهجرة بلا قيد ولا شرط وشراء اليهود للأرض، أي بكل
ما هو بالنسبة لي مسألة حياة أو موت»^(٢٠).

إن ما يموله العربي هنا ليس تغييراً عن يأسه بخصوص
الطبيعة البشرية، وليس تنبهاً لرؤية داروينية اجتماعية تشبه رؤية
الصهاينة أنتي ترى أن الواقع هو حلقة صراع لجميع ضد الجميع،
وإنما هي تمبير عن محاولة لفهم الآخر في صوء فكره وسلوكه

فإذا كان القول مشرقاً عادلاً والمعل مظلماً ظالماً خلا مباح من أن يصح النمط على الحروف بل يكون من الأفضل في هذه الحالة أن نتعاضد مع عدد قنطاري أقواله المظلمة مع أعماله الظالمة، فهذا الموقف يتصم، على الأقل، بقصيلة الوجود

وقد شبه أحد زعماء حزب الاستقلال في فلسطين إلى أن الرؤية الصهيونية لسلام مع العرب، مهما جاءت من اعتدال رؤية هي نهاية الأمر وهمية (أيديولوجية بالمعنى السببي للكلمة) وأن أي تحقق لها يعني سلب حقوق العرب ولنا حيفاً كتب له يهودا ماجنيس بفتح إمكانية السخفي من فكرة الدولة اليهودية على أن يسمح لجماعة يهودية أن تتمتع بحكم ذاتي محدود في فلسطين، رد عليه هائلاً «لا أرى أي شيء في أقدركم سوى استقرار صريح ضد العرب الذين لن يسمحوا لأحد أن يقاسمهم حقوقهم الطبيعية. أما بالنسبة لليهود فليس لديهم أية حقوق سوى ذكريات روحية مقفلة بالكوارث ونقص الحزبة ولنا فلن من المستحيل عقد لقاء بين زعماء الشعبين العربي واليهودي» (٢١).

وكان العرب يتركون تماماً أن الحديث العذب من التقدم وحلافه إنما هو حديث عن التثريب ومن سلب الوطن إن التعدم في إطار غير مترن من العود لصانع المنصب يعني أن العربي سيعقد كل شيء. خاصة إذا كان الآخر لا يعترف بالعربي ككيان تاريخي وإنما كمخلوق اقتصادي ولداً، فإن كثيراً من الشعوب المقهورة تميز استراتيجيتها لتحررية وبدلاً من البحث عن التعدم، تحصل الدفاع عن البقاء أو «التشريق» إذا ما استخدمنا عبارة المفكر العربي المصري الدكتور شكري عياد.

ولعل هذا هو الذي يقسم رفض موسى العلمي للكلمات بين جوريون حين تقبلاً عام ١٩٣٦ في منزل موشيه شاريت فطيقاً لما

جاء على لسان بن جوريون، بدأ الحديث بتريد السعة (الضيقة)
التي أصدها عن الممتلكات التي يجري تجميعها، واصبحاري التي
تزدهر بالحضرة والرخاء الذي سيعم على الجميع، ولكن العربي
فاطمة قائلاً «اسمع يا حواجة بن جوريون اني افضل أن تظل
الأرض هنا خرداء مقعرة ثائرة عام أخرى، أو لألف عام أخرى إلى
أن يستطيع نحن استصلاحها ونأتي لها بالحلأ، وهذا مارس بن
جوريون إحدى لحظات الإدراك النادرة ولم يسمه، لا الاعراف بأن
العربي [الحقيقي] كان يقول الحقيقة، وأن كلمته هو [اليهودي
الحاصر] بنت مضحكة وجوهاء أكثر من أي وقت مضى (٢٢).

وهكذا أيقن العرب أنه لا يمكن التصالح أو لتسامهم أو
الاستفادة من مستوطن صهيوني ينظر إلى الواقع من خلال حريضة
إدراكية تتكرر وجودهم ابتداءً أو تهمة شهم على أحسن تقدير، وهو
إدراك يسانده موارد القوى العالمية والمحلية التي لم تكن في
مناخ أهل البلد وقد آلت معار التلويح صديق حشهم ودية
تفهمهم للموقف.

هوامش الفصل الثالث

(١) تم اقتباسه في

Hans Kohn, "Ahad Haam" in Gary Smith, ed Zionism: The Dream and the Reality. A Jewish Critique (New York, Barnes and Noble, 1974), P. 23.

Published in Hartz in Sept 8, 1922, Moshe Meushin and Cited by (٢) Jewish Critics of Zionism (New York, Arab Information Center), P. 2

(٢) صبري جريس. تاريخ الصهيونية.

(١) لاكير، ص ٢١٥ - ٢١٦

(٥) صبري جريس، تاريخ الصهيونية ص ١٤٠.

(٦) لاكير، ص ٢١٥ - ٢١٦

(٧) يوميات هرتزه الجزء الرابع، ص ١٤١٩.

(٨) فلاين، ص ١٤٠ - ١٤٢

(٩) نفس المرجع، ص ١٤٩ - ١٥٠

(١) لاكير، ص ٧٤

(١١) هالدين، ص ١٤٩ - ١٥٠

(١٢) شهادة مقدمة إلى اللجنة الملكية لمطابقة عام ١٩٣٧، في فكرة
المسيحية النصوص الأساسية، إشراف دكتور أمين صايح، بيروت، مركز
البحوث الفلسطينية، ١٩٧٠، ص ٢٧٧

(١٣) لاكير، ص ٢٥٧

(١٤) هالدين، ص ١٤٣ - ١٤٤

(١٥) نفس المرجع، ص ١٥٣

(١٦) نفس المرجع، ص ١٥٦

(١٧) لاكير، ص ٢٤٢

(١٨) هالدين، ص ٧٦

(١٩) لاكير، ص ٢١٥

(٢٠) رويشنير، ص ٥٦٢

(٢١) نفس المرجع، نفس الصفحة

(٢٢) بن عيسى، ص ٨٣

الفصل الرابع

في الإدراك الإسرائيلي للعرب

يمكننا في هذا المصن أن نترك الإدراك الصهيوني للعرب وننتقل إلى الإدراك الإسرائيلي ولنبدأ بطرح سؤال التالي هل نجح الإسرائيليون في تجاوز التحيز الإدراكي الصهيوني؟ وإن كانوا قد نجحوا فهل تحول الإدراك إلى برنامج سياسي ص، أو هل أثر إدراكهم في مسؤكهم؟ بمعنى: هل ثمة إدراك إسرائيلي للعربي منفصلاً عن الإدراك الصهيوني؟ وهل أدى تحول المستوطن الصهيوني إلى النولة الصهيونية إلى تحول مماثل في الإدراك؟

أعتقد أن الوجود الإسرائيلي لا يزال جيبس التحريطة الإدراكية نـصهيونية بكل تحيراتها وهذا ليس بأمر مستغرب، فالإنسان الإسرائيلي إنسان مصنفيد من المشروع الاستيطاني الصهيوني، ولا يوجد له أي كيان خارجي، وظهور لعربي الحميمي يهد هذا لـكيان وينسف الادعاءات الصهيونية من جذورها^(١)

العربي المتخلف والعربي ممثل الأعيان.

ولنبداً بمقولة «العربي المتخلف» في مقابل «الصهيوني كممثل للحصار العربية»، هناك الكثيرون بطبيعة الحال في إسرائيل

الذين يظنون لأنفسهم على أنهم حصة شعبة الحضارة الغربية في
جبهة الشرق الأوسط وأن العرب هم ممثلو الشرق، المنحطف، فعلى
سبيل المثال، يرى أبا إيبان أن إسرائيل هي الشرق الأوسط ولكنها
ليست منه، ويبيعه في ذلك بن جوريون وبيجيس ومعظم الميادات
الصهيونية.

بل إن سياسة إسرائيل يكاملها ابتداءً من تمط تصويتها في
هيئة الأمم إلى تحالفها الاستراتيجي مع لولايات المتحدة، ترجمة
لهذه الرؤية للذات، ويمكن أن يصيف أن الأسلحة الإسرائيلية التي
تلك مخيمات اللاجئين هي، في معظم الأحوال، أسلحة عربية
متقدمة أو ثمرة من ثمرات التكنولوجيا الغربية كما أن القبائل
المتقوية المتأخرة هي ولا شك نتاج حصاره متعلمة منظمة على
أكمل وجه، والمعونات التي تلتهمها إسرائيل أولاً بأول هي مرموزات
عربية بشكل عام وأمريكية على وجه الخصوص، وقدرتي الصحافة
الإسرائيلية يعرف أن الدولة الصهيونية لا تكف عن الحديث عن
نفسها باعتبارها امتداداً للعرب وواحة من الديمقراطية العربية،
كما يعرف أن أسلوب الحياة هناك استهلاكي صري (على الأقل
بالنسبة للإشكاز).

وتعكس هذه الرؤية الصهيونية للذات وللآخر على موقف
الدولة الصهيونية الإشكالية من يهود البلاد العربية، فهي تنظر لهم
بالتنظر العربي، وترى أنهم عنصر من عناصر التخلف الحصري
العام في الجيب الصهيوني. بل إن إنكار الإنجاز الحصري العربي
قد اسحب عن إسهام اليهود العرب للحضارة العربية، وعلى إسهام
اليهود السعدي لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط. وقد ، لا تأتي
ذكر لهذه الإنجازات، إلا نادراً، في الكتب المدرسية الإسرائيلية، ومن
مخزية الأقدار أنه حتى بدايات القرن الثامن عشر، كانت إسهامات

اليهود الإشكناز في حصارات بلادهم في حكم المعنمة، ولا تخرج عن نطاق الصناعات النملودية والإشرافات القبلية، فلم ينتج يهود العرب شخصية مثل موسى بن ميمون أو شاعر مثل يهودا هاليفي (لا مع بدايات القرن الثامن عشر).

ولكن الهدف المقصود هو صاحب الأرض الفلسطينية أي العربي وليس اليهودي الشرقي، ولذا نجد أن صورة العربي المتخلف هي صورة متوترة هي الصحافة الإسرائيلية لا تكف أجهره لإهلام عن تأكيدها، ولا تكف المقررات الدراسية عن ترسيخها في الوجدان الإسرائيلي وقد صدرت كتابات عربية عديدة لتوثيق هذا الجانب من الإدراك الإسرائيلي للإنسان العربي

وهذه ذكرنا من قبل امتداداً طويلاً لصورة العربي كشرقي، وهو صورة اليهودي كعربي وعلى الرغم من أنك ذكرت أن هذه الصورة قد ظهرت قبل تبلور الإدراك الصهيوني للعربي، إلا أنها مع ذلك لا يزال لها صداؤها في الوجدان الإسرائيلي، وتأخذ شكل العنكة الكنانية التي تنطق من الإيمان بأن اليهود المائدين لإسرائيل إنما هم صهيون - أي جزء من التشكيل الحضاري السامي وليس لهم علاقة بيهود الشتات، ولعل الدعوة للقومية الإسرائيلية (ككيان مستقل بل ومناقض للهوية اليهودية)، أو معجيد الصابر هي مقابل يهود النسي، تغيير جزئي عن نفس هذا الإدراك.

أما العربي، معشلاً للأعيان، فهو أيضاً إدراك لا يزال سائداً في إسرائيل، فقد فسر الفكر والعالم يشيا هو لييوهتر ما سماه الصراع العربي اليهودي على أنه تعبير عن الجوهر الأري للامانة التاريخية^(٢) بلشب اليهودي، أي مشكله اليهود مع الأعيان. أما الشاعر بنحاس صمدح فيرى أن العرب هم التمييز عن حاجة العالم اسسعي لتصفية ظاهرة اليهود^(٣) ويصر الكاتب الإسرائيلي

يهوشاوا المصاومة العربية على أساس أنها شيء غير مفهوم وعلى أساس أن دواعيها غير عملائية إلى حد كبير شيء ما في اليهود يؤدي إلى إثارة جنون الشعوب الأخرى^(٤).

وهم في إسرائيل لا يتحدثون عن اليهود والعرب، وإنما يتحدثون في كثير من الأحيان عن «اليهود وغير اليهود»^(٥)، أي الأغيار. على طريقة وعد بلمور، وفي هذا الصدد، قد يكون من أنقيد أن نتذكر أن الحاخام أبراهام أفيدان قد أوصى لجنود الإسرائيليين في إحدى نشرات الحاحامية العسكرية بالحيش الإسرائيلي - بقتل المنحيين الأعيان (أو غير اليهود) ولكنه كان يسمي بطبيعة الحال العرب، إذ إنه لا يوجد سواهم وحسب ولا شبهة أن جنود جيش الدفاع الإسرائيلي كانوا يعرفون تماماً ما كان يرمي إليه الحاخام الصهيوني، فالعربي، حسب هذا الإدراك، هو ممثل الأغيار.

وقد ذكر الصحفي الإسرائيلي (ومعضو انكنهست) يوري أفتيري في إحدى مقالاته (أثناء حرب الاستنزاف على الحدود المصرية) أن الطيارين الإسرائيليين يطهرون بطائراتهم ويبكون الملل والمدرس المصرية ثم يعودون إلى منازلهم ولا يرون في أحلامهم ضحاياهم وإنما يرون جيئو شرق أوسط إحدى المذابح التي كانت تكبر ضد اليهود أي إلى الإسرائيليين يدرت نفسه على أنه الضحية الدائمة وأن العربي ممثل الأغيار والجزار حتى بعد أن قام هو شخصياً ببيحه

العربي الهامشي والعربي الغائب.

أما العربي الهامشي فيظهر في الرؤية الإسرائيلية على أنه شخص له حقوق مدنية يمكن ممارستها من داخل مجالس

البندياب ومخالفات لقري، ولكنه ليس به حقوق سياسية أو قومية
ينبغي التعبير عنها من خلال مؤسسات سياسية، ومن هنا عدم
السماح بقديم أحزاب عربية قومية. والمفهوم الإسرائيلي للحكم
الداني لا يخرج عن حد الإطار ومفهوم الإدارة الدانية هي حوضه
تعبير عن ذلك، فهو مفهوم يفصل الإنسان العربي عن أرضه
ويحقق الرؤية الصهيونية في مرحلة أصبحت الإبادة فيها شبه
مستحيلة وأصبح تعريض الأرض من سكانها أمراً صعباً. ويظهر
النهج كذلك في صراع لإسرائيليين على التعامل لا مع العرب
وإنما مع المسلمين والمسيحيين والدرور وسكان انقطاع وسكان
النصف ومع نظائرات التقليدية، بل إلى الاستراتيجية الصهيونية
الحالية تجاه المنظومة العربية بأسرها لا تزال تدور في إطار
الإدراك القديم، وهو إنكار القومية العربية والتعامل مع الجماعات
الإثنية والقومية المحتلة، وهذا هو في نهاية الأمر إطار كاسم
ديميد.

ويأخذ التفتيش الآن فكرة تهجير لفلسطينيين ونزع تعويضات
لهم وتشجيعهم على الهجرة إلى الغرب حتى يمكن تعريض الأرض
من سكانها. وقد دأبت أجهزة الدعاية الصهيونية على وصف تعذيب
عرب فلسطين عام ١٩٤٨ وإرغامهم على الخروج من فلسطين عن
طريق الإرهاب بأنه كان عملية «تبادل مكن» تم من خلالها توطين
المسلمين خارج فلسطين وتوطين العرب اليهود داخلها

ولكن التبادل يعني القبول من الطرفين، وهو أمر كما نعلم
لم يحدث، فالملاحون الفلسطينيون لم يميلوا أن يتركوا أراضيهم
ليحلوا محل رجال الأعمال والحكام من أخصاء الأقلية اليهودية
في مصر أو العراق، وبالتالي فلم يكن هناك تبادل. كما أنه لم
يتم تبادل أرض بأرض، فمعنى لا يعرف أن لحركة الصهيونية قد

ديرت للفلسطينيين لمعيين قطعة أرض في مكان ما، ولكنه مع هذا «تبادل» من وجهة نظر لإمرك الصهيونية فاعتبار أن فلسطين هي المكان الطبيعي لليهودي «الحالض»، ولا يوجد فيها مكان لسريي العائب أو الذي يجب أن يقيَّب. ولذا، حينما يخرج المريي (حتى ولو بموة العناج) ويعل معله اليهودي فإن في هذا تحميلاً كرويه إدراكية مسبقة، وبالتالي فإن هذا يبدو أمراً طبيعياً ومسجماً

ومن أشكال التمييز من تقييب العرب الاصطلاح القانوني الإسرائيلي «المقربون الحاصرون» وهو يشير إلى الفلسطينيين الموجودين داخل حدود ٤٨، وبدي مُعو من الوصول لأرضهم بأمر انصاكم العسكري ولو تُرجم هذا المصطلح إلى «الحاضرين لمعيين» لظهر معناه التحييمي

أما إغفال العرب فيظهر في إنكار وجود حركة المضومة الفلسطينية ورفض التعامل معها والإصرار على الإشارة للعنائيين على أنهم «متسلطون وإرهابيون وقتلة» وفي رفض التصريح بمدد صحايا الهجمات العنائية، وفي وصف جولدا مائير لسمها بأنها «فلسطينية».

العربي كيهودي-

ثم تأتي أخيراً لعملية الإسقاط الصهيونية نسي نحول لعربي إلى يهودي المنفى ويبدو أن هذه الظاهرة أيضاً لها «امتداداتها». وقد لاحظ أحد المؤميين العرب (دكتور رشاد الشامي بجامعة عين شمس بالقاهرة)، في دراسة له في قصة «خربة حرملة» لساميح برهد أن المكو الصهيوني لإسرائيلي بدأ ينسب إلى العربي السمات السابقة لسمها التي كان يسمها يهود المنفى، وهي السمات التي

استوريتها الصهيونية بدورها من أدبيات معاداة اليهود

وهد بنا الدكتور علي جلد أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الملك سعود بالرياض، في نشر مجموعة من الدراسات عن هذا النمط الإسقاطي كما يرد في لرواية الصهيونية في الولايات المتحدة.

ومن الأمثلة الأخرى لتي نمونها على هذا الإسقاط الصورة لتي رسمها المفكر الصهيوني، الأمريكي هاريس كاس للعنصرية في المستعبل كما يحب أن يراها، فقال «لو حصص اللاجئون على جولات سفر وعبرها من الوثائق انتي تمكثهم من التحرك بحرية، ولو حصلوا على مبلغ كاف من المال ليشعروا به طريقهم إلى مكان من المتوقع أن يجدوا فيه سهل الميـش المقولة، وقيل لهم إن هذا هو كل ما سيحصلون عليه ولا شيء آخر أبداً - لو حدث هذا لبدأوا عندئذ في الاعتماد على النفس»^(٦) وللاحظ أن بصورة الكاسه هنا هي صورة «اليهودي» لثائه الذي يرحل من مكان لآخر دون توقف، والذي لا يهمه سوى المبلغ الذي يحمله أي إنها صورة لليهود في كتابات المعادين لليهود

ومن الأمثلة الدرامية الأخرى على عملية الإسقاط الحوار اندي اندي نشر في جريدة هاداشوت (٢ نوفمبر ١٩٨٤) والذي دار بين أحد مراسلي الحريدة وروجة موشيه ليفنجر زعيم حوش إموييم أحيبرت سسيده مراسل أن الأطباء العرب أقل مفاقة ومهارة من الأطباء لإسرائيليين وأنها تحصل أن تعالج أسنانهم عند أطباء يهود «لأنني أثق في المعايير اليهوديه وحسب. فاليهود موهوبون في هذه الأمور، أما لعرب فهم غير قادرين على تطوير صناعات متقدمة . ويستورد السمودية آلاف الفنيين إن كل أمة لها اتجاهاتها الخاصة، والعرب لا يصلحون إلا أن يكونو تجاراً» إن

العربي هذا هو يهودي اليروثوكولات - نتاجر المرامي الطميلي وهو أيضاً شأنه شأن يهودي اليروثوكولات، مصر كل الشرور ويهدد أمن الدولة ضد بشرته على سبيل المثال، عال هلمشمار (٢٣ نوفمبر ١٩٨٤) خبراً مفاده أن الطلبة العرب أرسلوا خطاباً لأعضاء الكنيست يهددوهم فيه بالنبح، وأدهم سيدمرون كل اليهود!

العربي الحقيقي-

والخيراً، نأتي للإدراك الإسرائيلي للعربي الحقيقي، وسنكتشف أنه على الرغم من وجود مؤسسات حكومية إسرائيلية للدراسة العرب، وهي الرغم من وجود احتكاك يومي بين الإسرائيليين والعرب، إلا أنه يمكن القول بأن الأمر لم يغير كثيراً، إدراك الإسرائيليين للعربي الحقيقي لا يترجم معه بالضرورة إلى عمل فاضل وما ينتج عنه الاستجابات الثلاث التي سبق وأشارت إليها

١ - أن تدخل الإسرائيلي من صهيويته.

٣ - أن تعدل الإسرائيلي من صهيويته في ضوء إدراكه، فيتحول هو إلى شخصية هامشية أو مبهمه

٢ - أن يتمسك بصهيويته، فيريد إدراكه من ضراوته وشرسته نظراً لتزايد إحساسه بالمخطر المحقق.

وهذه الأنماط الثلاثة هي دنها الأنماط التي كانت سائدة بين الصهيونية قبل ١٩٤٨، وقد لاحظنا شيوع النمط الثالث، ويبدو أن الأمر لا يزال على ما كان عليه.

وإذا أردنا أن نصرب أمثلة على النمط الأول ممن أدركوا العرب كحقيقة تاريخية، وتقبلوا هذا الإدراك وحددوا سلوكهم في

إصراره، لتكريس موشيه ماحوهر أبو طن الإسرائيلي الذي تحول إدراكه إلى وعص للصهيونية، فمادر نكيان الصهيوني واستقر في نفس. وهناك كذلك امناصل الإسرائيلي ليهودي ألييب الذي انضم لصمود المقاومة الفلسطينية ودخل السجن دفاعاً عما تصوره الحقيقة لتاريخية والعدل الإنساني.

أما بالنسبة لسط الثاني، فيمكن أن ننكر شخصيات مثل متبناهو بييد ويوري أسيوي وأرييه إلباف فيهم يدركون عرب كحقيقة تاريخية لا بد من انماص منها ونكتهم مثل أيشتاين والأحرار يطلقون من قنيل الكيان الصهيوني كحقيقة قائمة. ولذلك فيهم يصلبون من لإنسان العربي التاريخي أن يتعامل مع الإنسان الإسرائيلي ككيان تاريخي قائم وقد نسب موقعهم هذا في تهميشهم تماماً، خاصة في حالة إلباف الذي كان شخصيه قياديه في المؤسسة العمالية ثم بدأ يدعو لفكرة التماص مع العرب ولاعترف بهم فأخذ يتحرك من المركز إلى الهامش حتى فشل في الحصول على معد في الكنيست.

أما السط الثالث، وهو النمط الأكثر شيوعاً، فيصم أولئك الذين أدركوا أبعاد الرفض العربي لهم، وأنه رفض تاريخي حقيقي مستمر، تحركه الدافع القومية، فزادهم ذلك إصراراً وبمسكاً بموقعهم وسنجد أن هؤلاء قد تنو مفهوم «إين بيراء» - أي ولا خياره - أي أنه لا يوجد أمام الإسرائيلي سوى لحرب المستمرة ومن أهم ممثلي هذه الرؤية موشيه ديان وهو من جيل الصابرا الذي نشأ على الأرض العربية وعرف العربي عن قرب، وهناك طبيعة الحال أرييل شارون الذي يرى أن ما لا يؤخذ بالقوة يؤخذ بعريه من لقوة ومن أهم المكيين الاستراتيجيين الذين تسم رؤيتهم بالإدراك الواضح وبالعنف والشرسة شلومو أروموني الذي

تبدأ بها يسميه حرب المائة عام بين إسرائيل والمغرب وهؤلاء
الإسرائيليون يشبهون هي أكثر من الوحوش شاروت وبين جوربون
وجابوبسكي حيث يترجم الإدراك نفسه لا إلى تعديل للرؤية وإنما
إلى تدمير الإحساس بعدم الأمن الذي يترجم نفسه بلورة إلى
مزهد من الصراوة

القصور الإدراكي

بعد هذا العرض السريع للطيف الإدراكي (الصهيوني/الإسرائيلي) تجاه العرب وبعد أن عرضنا لإشكالية العربي الحقيقي وأثره على السلوك الصهيوني، قد يكون من المفيد أن نحاول أن نشخص مواطن الخلل أو القصور الأساسي في هذا الإدراك وثمة خلل وقصور ولا شك، وإلا فهم يمسرون حالة الصراع الدائمة التي استمرت إلى ما يريد من مائة عام والأحده في التصاعد وانتي لا توجد أية مؤشرات على إمكانية انفراجها إلا عن طريق استسلام أحد الطرفين للآخر وفي محاولة التوصل إلى صيغة هذا الخلل، يشير إلى مقال نُشر عام ١٩٢٢ في مجلة كانت تصدرها جماعة صهيونية «اشتراكية» تسمى «فرقة العمل». وقد حاول كاتب المقال أن يعبر عن رؤيته لمستقبل كيبوتس عن هارود الراهب الذي كان يجري تشييده آنذاك في وادي جريش. وقد تخيل كاتب المقال الكيبوتس بعد مائة عام، وتامل ثرائه وإيجاراته الثقافية ومشاركته التي مستفيد عن «الطريقة الشرفية» وحلم المؤلف بأنه سيخضع في وسط الكيبوتس تمثالاً لرجلين «واحد عربي والآخر يهودي»، جالسين على صخرة ومحملان راية نُقشت عليها ثلاث كلمات: «المساواة والأخوة والحرية» (٧) لكن الصورة الإنسانية المتوهجة التي رسمها المؤلف الصهيوني لكيبوتس المستقبل تتجاهل عدة حقائق.

١ - لا ندري كيف صور المؤلف الصهيوني تلك العربي الجالس إلى جوار يهودي، ولكن مع هذا يمكننا التخمين فتحس بحرف أن الصهيانة كانوا لا يعترفون بتشكيل القومي العربي، خاصة داخل فلسطين، ولذا فإن العربي الجالس هناك على الصخرة كل شخصية مجردة من حقوقها القومية وراثتها الحضاري فرد قد يكون له حقوق مدنية وربما بعض الحقوق السياسية على أكثر تقدير، ولكنه كان عليه أن يتأمل عن كثير من حقوقه، ويمتسها مع اليهودي الذي اقتسم معه الصخرة وكان لهما بعض الحقوق وبعض التشريعية وهذا ولا شك خلل إدراكي، فالعربي عاش آلاف السنين يعلج هذه الأرض ولا يعرف له وطناً غيرها، ولا يمكنه أن يقتسم فلسطين مع الصهيوني الجالس إلى جواره، فهذا الأخير جسم غريب غرس غرساً في هذه الأرض بمساعدة الاستعمار الغربي.

٢ - والصهيوني الجالس على الصخرة إلى جوار العربي، حتى لو كان من كبار المدافعين عن قيم الحق والعدالة، معتمداً، فوجوده في فلسطين عنوان، كما أن كيبوتس عين هارود أسس على أرض عتيبة سكانها، ولذا فإن هذا الثوري ليهودي سيؤسس وطنه في أرض غيره، وهذه حقيقة لا نحتاج لمنظرين يساريين أو ثوريين، وهذا ما قاله منك إيطالي لهرتزل وإذا كان لصهاينة لم يروا هذه الحقيقة البديهية فإن ذلك دليل قاطع وكأننا نحتاج لثل هذا الدليل على مدى خلل إدراكهم للواقع.

لا يمكن تحقيق الحلم الصهيوني إلا بتفويض العربي أو تهيمشه على الأقل، فغياب العربي هو تحقق الصهيونية، وتحقيق الصهيونية هو غياب العربي وهذا ما عرفه جابوتسكي صاحب فكرة لجدار الحديد وبعده تلميذه بيجين ومعظم الإسرائيليين.

وقد أكد بيجين في خطاب له أمام سكان كيبوتس عين هارود هبعد تسميته ونجاحه، أكد على ضرورة تديب العربي وللمسك بالزعم بأن فلسطين لا توجد، وأنها كانت ولا تزال وستظل إرثاً يسرائيل وهلو كانت هذه هي فلسطين [أرض العربي الحقيقي] وليست أرض إسرائيل [أرض اليهودي الحالي] إذن فأنتم فاحسون ولستم مرارمين بضمون الأرض. أستم إذن عراة وإذا كانت هذه هي فلسطين [أي إذا اعترفنا بوجود العربي الحقيقي ذي الحقوق لقومية والسياسية]، فإنها إذن تنتمي للشعب الذي عاش هنا قبل أن تأتوا إليهم، ولن يكون لكم حق العيش فيها إلا إذا كانت هذه هي أرض إسرائيل^(٨) وقد تولى بيجين رئاسة الوزارة فيما بعد، ولم يعد نسمع عن ماجيس أو أيشتاين وأمثالهما في كتب «تاريخ.

وتكن البشر لا يوجدون داخل وعي الآخرين وإدراكهم، ولذا فإنهم يرفضون الثياب ونسواي عن الأنظار وانتحول إلى كاتلب اقتصادية ويحملون السلاح دفاعاً عن وجودهم وشرعهم، ولذا، بدلاً من النصب التذكاري الذي حلم به المؤلف الصهيوني يوجد الآن هي عين هارود نصب تذكاري شيدته الإسرائيليون للقتلى الصهاينة الذين سقطوا في لحروب التي لا تنتهي مع العرب^(٩) والتي تبدأ بها بن حوريون في إحدى لحظات لسماء.

الاعتدال والتطرف الصهيونيان.

لعل من أهم النتائج التي خلصت لها هي تقييمنا للإدراك الصهيوني للعرب اتصال الإدراك عن السلوك إذ إن نفس الإدراك لنفس الظاهرة (مثلاً إدراك الصهاينة للعربي كإنسان حقيقي له حقوق) قد يؤدي إلى أنواع متباينة من المسوك كما أن إدراك أحاد هعلم ويهودا ماجيس وين حوريون للعربي

الحميمي قد نجم منه تذبذب من جانب الأول، ومحاولات بائسة للتوحيق بين رؤيتين متناقضتين من جانب الثاني أدت إلى تهميشه هو شخصياً، ومزج من الشراسة من جانب الثالث. وقد يست من قبل أن الاستجابات تختلف من فرد لأخر نتيجة لمزج هائل من العوامل النفسية والعصبية والتلابضة والمياسية كما يجب أن موارد القوى وطبيعة الحوار المسلح الدائر بين الطرفين تلعب دوراً هاماً في ترجيح صوره إدراكية على حساب الأخرى ولذا، فإننا نجد في عياب القوة العريية أن النمط الثالث هو أكثر الأنماط الصهيونية شيوعاً، فهو النمط الذي كان يدرك منطق الرؤية الصهيونية والذي كان يعرف موارد القوى معرفة جيدة ويمكننا أن نرسم مخططاً متكاملأ لطيف الإدراك الصهيوني هي علاقته بموارد القوى.

٦ - في حالة اتجاه موارد القوى لصالح العرب وصعد صالح الصهاينة، فإن هذه القوى تدعم الإدراك الواقعي، ويساهم ذلك في تبديد لأوهام الأيديولوجية، ويبدأ الإدراك الواقعي في فرض نفسه وقد يتحول إلى برنامج سياسي يعكس الواقع، أي إنه يتم ترشيح العقل الصهيوني (وفي هذا الإطار قد تتحول شخصيات الهامشية «المحبوبة» مثل إسرائيل شاهناك وأفتيري إلى شخصيات قيادية، ويمكن أن تظهر أيضاً قيادات سمادية على استعداد لتعديل أسطورة الذات الصهيونية). ومع هذا، لا بد وأن يسرع إلى القول بأنه، من خلال استقراءنا للتاريخ حين تبدأ مقاومة الممكن الأصليين للمستوطنين، عادة ما يستجيب المستوطنون في بداية الأمر بشراسة، وكلم تصاعدت المقاومة كلما تزايدت الشراسة (وهذا ما نسميه المرحلة انشازوية) إلى أن يصل المستوطنون إلى لاقتناع بأنه لا مخرج لهم من وظيفتهم التاريخية

إلا بمك الحبيب العصري الاستيطاني الإحلالي، كما حدث في جنوب إفريقيا،

٧ - هي حالة انحاء موارد اقوى لصالح الصهاينة ومصلح العرب، فإن هذه القوى متشبع، الإدراك الصهيوني المتحيز وميساهم ذلك في أن يتحول الواقع التاريخي إلى شيء هامشي باهت وأن يتقدم لبرنامج السياسي الصهيوني كمرشد للتعامل مع «الواقع»

ويمكن أن نعصر التطرف والاعتدال الصهيونيين في ضوء الاحتمالين العامين فإن ظل العربي الحقيقي ساكناً دون أن يتحدى الرؤية أو موارد القوى، ودون أن يرسل برسائل مسلحة للموت، أصبح من الممكن قبوله كشخصية منظمة هامة غائبة، ويصبح من الممكن إظهار التسامح تجاهه، بل و«منحه» بعض الحقوق (وهنا تكمن «المارقة»). أما إذا بدأ العربي الحقيقي في التحرك لتأكيد حقوقه ورفض الهامشية وتحدي الرؤية الصهيونية، وحاول تغيير موارد القوة لصالحه، فإنه يصبح مصدر خطر حقيقي ويصبح من الضروري ضربه لتهديشه وتهميشه ويصبح التسامح مرفوضاً

هذا لا يعني أننا نعطى أهمية الإدراك من حساب، ويؤكد موارد القوى وحسب، فالواقع لا يمرض نفسه على عقل الإنسان بشكل مباشر وإنما من خلال طيف إدراكي، وتساهم لقوة هي تقويض الإدراك أو تدعيمه، فهي علاقة مركبة إلى أقصى حد. ولذا، يجب أن نعترف تماماً أنه يعيش شيء عالم ليس من صنعنا وهو عالم يؤمن بالحواس الخمس ويكل ما يقاس ولا يعترف كثيراً بالحق أو الخير أو الجمال، ولذا لا بد وأن تصطط على الحواس الخمس لدى أعدائنا من خلال لحوار المسلح حتى يعرف الآخر

أن العربي الحقيقي ليس مجرد صورة هي وجدانه يمكنه تلخيصها
وبما قوة واقعية يمكن أن تسبب له حساسية فادحة إن هو تجاهلها
أو حاول تهشيمها

ولعل هذا هو القصور الأساسي في محاولات التوصل للسلام
في إطار اتفاقية كامب ديفيد وغيره من الاتفاقيات المهندسة
هذه الاتفاقيات يفلتون أنهم عن طريق رفع رانات السلام سيصرون
صورة العربي في وعي العالم، وأن هذه الصورة سيمخلق ديمامة
تعرض على الإسرائيليين أن يصلوا إلى اتفاق عادل أو شبه عادل
ولكن لذي حدث عكس ذلك تماماً فبعد الأسابيع الأولى، وبعد أن
يتوقف الحوار المسنوع وبعد أن تصوى عشرات المنتهزيين الساحة،
تظهر حسابات القوة الباردة التي تعرض مطلقها التلعي البارد
الأساسي على الجميع وعلى مثثة المفاوضات.

وقد جاء في مجلة **تيزوريلك** الأمريكية أنه بعد أن قبل
الرئيس السادات بشروط كامب ديفيد كما عرضها بيجين، حسب
تخصيص رقعة ما في القدس ترفع عليها الأعلام العربية حتى
تكون مغنيمة أخرى يعود لتهبأى بها، وكان تعيق أحد أعضاء
لوفد الإسرائيلي هو أن ترفع الأعلام على المنابر العربية (سلام
القبور الذي لم يرد وأيرمان لنفسه) أما ديان فقال «السادات
يريد بقشيش» أي إنه ينظر إلى الرئيس السادات، رئيس جمهورية
مصر، من خلال لحريصة لإدراكية الصهيونية وبحث إن السادات
قد أوقف الحوار المسلح، فقد حوّه ديان إلى إنسان مسخف
هامشي، شحذ لبس له حقوق يمكن أن «تهيه» شيئاً إن أردت من
قبيل الاعتدال الصهيوني. وقد كان ديان أكثر واقعية من الرئيس
السادات، فحسابات القوة الباردة هي عابثا لا تصرف لحق
والحقيقة، ولو كان هناك وراء السادات ديانة عربية، بقف شامخة

جميلة، لما رآه ديار شجاعاً يقف على هيباته

ومرة أخرى، رغم معرفتي بمنطق القوة، فإنني لا أكن له
حيّاً ولا احتراماً، ولكنني كما قلت هي عالم ليس من صنفنا وهو
عالم فبيع صنع أساساً في العرب في القرن التاسع عشر، وإن
أردنا التعامل معه بكفاءة فإن علينا أن نقيمه تقييماً موضوعياً، ومع
هذا هنا أعتقد أنه يجب ألا نرفض فكرة الحوار مع الآخر
فالأحر موجود لأن في وسطنا، ومدجج بالسلاح. ولد ذات مطالب
دائم بالحوار المسلح - فالحوار يمكنني من فهم الإسرائيلي
الحقيقي ويمكنه من فهم العربي الحقيقي، أما الحوار بدون سلاح
قد يطرح صورة إدراكية صادقة ولكنها صورة معرضة للشحوب ثم
الاختفاء لأنها تساندتها القوة، ولذا يجب أن تستند بنية الإدراك
لهبة لقوة، وحينئذ قد يتحول الإدراك إلى فعل حاصل ويتحول
الحقيقة إلى عدل

هوامش

الفصل الرابع

() تم اقتباسه في عبد الوهاب محمد السيري، الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (الكويت، سلسلة عالم المعرفة إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢ - ١٩٨٢) انظر خامسة الفصل الثاني عشر

(٢) بين عيود من ١٨٢

(٣) المصدر نفسه، من ١ - ٢ - ٢٢٥

(٤) المصدر نفسه من ٢٤٥

(٥) يديوت أحروثوت، ٢ ديسمبر ١٩٧٤

(٦) يديوت أحروثوت، ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤

(٧) رويشتاين، من ٦٧

(٨) يديوت أحروثوت، ٧ أكتوبر ١٩٦٩.

(٩) رويشتاين، من ٦٧

الفصل الخامس

الإدراك الإسرائيلي للدولة الفلسطينية

حصل الإدراك الصهيوني الإسرائيلي للعرب لحظة تحققه المادية هي التثبيط الكامل للعرب، وهذا هو الحلم الصهيوني في لحظة تحققه الوهمية وفي حده الأقصى وزعم أنه حلم، إلا أنه يشكل البنية التحتية لكل الأفكار والمواقف الأخرى للصهاينة، ولا يمكننا أن نصف الاختلافات والتفرعات الأخرى إلا بأخذ هذه البنية هي الاعتبار.

ويجب التأكيد على أن الأفكار تلعب دوراً أساسياً في تحديد سلوك المستوطن في الجيوب الاستيطانية بشكل يفوق الدور الذي تلعبه في تحديد سلوك لمواطني في التشكيلات السياسية العادية. ففكرة القومية العبرية تحرك الجماهير العبرية، وفكرة القومية اليونانية تحرك الجماهير اليونانية، ولكن القومية الفرنسية ليست مجرد فكرة أو مشروع قد يمشل أو ينجح وإنما واقع تاريخي تمتد ترجم نفسه إلى مؤسسات وتراث ولم يعد من الممكن وضع وجوه ذاته موضع تساؤل كما أن الفرنسيين ليسوا مهددين بشعب آخر كان يشعر أنهم ولا بتاريخ آخر كان يشغل الحيز الرمزي في وطنهم، وبالتالي فإن فكرة القومية بالنسبة لهم مجرد تعبير عن

واقع قائم راسخ متعين مركب أم الجيوب الاستيطانية فهي تستند عادة إلى فكره هي في الواقع كمنحة تاريخية كبرى (فالمسكان الأصليون غير موجودين)، وهذه المنحة ليست واقعاً قائماً وإنما صار عملي وعاطفي، مجرد حلم ولذا فإننا نجد أن هذه المنحة (الحلم - الوهم) تلعب دوراً حيوياً في تحديد علاقة المستوطن مع واقعها، بل ويجدها في كثير من الأحيان نحل محل الحقيقة.

ومع هذا، تظل الحقيقة التاريخية قائمة، ويصرخ المستضعفون والمعيرون من العائلات والقرى ومن بين شقوق الأرض فيظهرون على شاشات التلفزيون وعلى شاشة الوعي ويصيحون في أحلام الظلم الذي ظل أنه قد غيبهم وإلى الأبد ويدخلون في حوار مصلح - فيتخلص الوهم أو يتبدد.

وبدلاً من العربي الفقي، يبدأ بعض المستوطنين بالحديث عن إمكانية التعايش مع السكان الأصليين مع إعطائهم حق تقرير المصير المحدود ويسرايد الضغط، قد تظهر قطاعات تومع من صفاق هذه الحدود، فيتحدثون عن حق تقرير المصير الكامل ولكن المشروع يبرع السلاج، وهناك من يقبض بدولتين متساويتين في السيادة القومية وهكذا وهناك أخيراً، كما أسلفنا، من يصر إلى تقبل العربي الحقيقي ويدرك تماماً أن تاريخ فلسطين إنما هو تاريخ عربي، وهو في هذه الحالة يخرج على المشروع الصهيوني ذاته ويصبح معادياً للصهيونية ورافهاً لها

ولنحاول الآن دراسة نماذج من التفكير الصهيوني الإسرائيلي بخصوص فكرة الدولة الفلسطينية هذا مسجد أفكاراً متضاربة عديدة واقتراحات لا حصر لها ولا عند تقع على درجات مختلفة من النضال الإدراكي الذي قرحناه، وبمخطط الصورة، حتى يمكن تناولها بشيء من التحليل، منقسم المواقف إلى ثلاثة يقرب أولها

من الحد الأقصى الصهيوني، أي تضييق المصرب، حتى أنه يكاد ينصق به، ويعتمد ثالثها عنه حتى يبدو وكأنه نقيض، ويعتد ثانيها في نقطة اعتباره متوسطه بينهما

وقد اخترنا شموئيل كاتس - أحد مؤسسي حركة حيروت والذي شغل منصب مستشار رئيس الوزراء - ملحقهم بجيش عام ١٩٧٨ كممثل للنموذج الأولي - ولعبر كاتس عن وجهة نظره، فإنه يعتد كلمات بن جوريون الذي يشير فيها إلى «تاريخ اليهود» وإلى ميلاد اسمها يهودا وهي التي سميها أرض إسرائيل . إن هذه البلاد جعلت منا شعباً وشعبنا خلق هذه البلاد ويصيف كاتس «خلل مئات السنين نتى تعاليتها عمليات قتل وطرد وتمييز ومعتوى معيشي سيئ، لم يتأثر الوجود اليهودي في فلسطين ولم يتسلل اليهود عن عادتهم وتعاليمهم».

وخلال هذه المتره «لم يتأثر التراث اليهودي، كما لم تتأثر الثقافة اليهودية، أي اللغة العبرية التي بدئ باستخدامها في القرن الماضي في صبرية». ونحن لن نحاول تصيد هذه الأفكار الصهيونية لصيانية أو الرد عليها، فهي من الثقافة بحيث لا يصح أن يشمل المرء به إلا بمقدار كودها مؤشراً على انحدود الإدراكية لدى صاحبها. وكاتس لا يرى سوى حضور يهودي كامل وثابت عبر التاريخ يعابله غياب عربي كامل. ويعتد كلمات لكاتب الأمريكي صديق توين، الذي زار فلسطين «سائحاً، للدلالة على رأيه وكأن مارك توين هو أحد كبار مؤرخي المنصة العربية «لقد وجدنا البلاد خالية تماماً (عام ١٨٦٧) لا أثر للحياة فيها - ولم نجد في طريق أية روح حية، وكانت أرض إسرائيل أرضاً جرداً - وكأنها لا تنتمي إلى هذا العالم».

ويستمر شموئيل كاتس في التمييز في فكر حتى وجود العرب

ككل، أما البشر الذين وجدوا في فلسطين هُلمهم مهاجرون من البلاد المجاورة (مهاجر متحركة يمكن تحريكها مرة أخرى) ولذا، فإن هؤلاء الذين يطالبون بأرض إسرائيل ليسوا سوى مدَّعين عرب وإرهابيين فلسطينيين، وهو يستم مقالة بعبارة تصل إلى ذنوبية الانتخية لكل الأفكار الصهيونية «إذا انتصر العرب في الحرب فإن الدولار سيلحق شعب إسرائيل كله، أما إذا انتصرت إسرائيل فسيكون على العرب الرضوخ للأمر الواقع وتقبل إسرائيل».

ويلاحظ أن حل الصراع العربي - الصهيوني من هذا المنظور الإسرائيلي لا يتم إلا من خلال الصراع المسلح - الانحصار أو الهزيمة ثم الخضوع للشروط الإسرائيلية وللسلام على الطريقة الإسرائيلية

أما النموذج الثالث فيمثلته شهر بعل وهو من يشغل مايا ومن ينادي بالصهيونية ذات الديباجة اليسارية، ولا تختلف أطروحاته العقائدية أو إطاره «تاريخي» عن أطروحات وطار كاتس، فهو يُمَرِّف الحركة الصهيونية بأنها حركة تحرر وطني أي حركة تقليب للفلسطينيين. وقد امتازت الصهيونية «بأنها صمت يهوداً من مختلف الاتجاهات واليول ممن رأوا بأعينهم هدباً مشتركاً وهو جمع شتات الشعب اليهودي وبناء أمة يهودية متحدة على أساس العمل العبري في أرض إسرائيل». فبعض يطلق إدر من الانعاز بأن للشعب اليهودي حقوقاً تاريخية كاملة في أرض إسرائيل ثم يفسر بعل وجود لشعب الفلسطيني في أرض فلسطين على أساس صهيوني «فلولا قيام الحركة الصهيونية، ما ظهر الصراع لفلسطيني النابع للحركة القومية العربية ويمكن الاعتقاد بأن مجيء اليهود إلى أرض إسرائيل و سيطرتهم فيها كان هو الحاضر الذي أدى إلى نشوء الكيان الفلسطيني». بل إنه يؤكد

أنه «من الصعب أن تُصور اليوم كيف كانت ستبدو الأوضاع في أرض إسرائيل لو لم يتحقق فيها المكر الصهيوني». فوجود الفلسطينيين حسب قصوره - عرضي، ولكنه - وهنا مصدر الاختلاف بين وبين كاتس - ليس بالضرورة دائل، فهو يرى أن بعض الصهاينة قد اعترفوا بحقوق الشعب الفلسطيني «بصمته يمتلك حقوقاً طبيعية في بلاده».

ولا بدري م هو الفارق بين لحقوق التاريخية لليهود والحقوق الطبيعية للعرب، ولكن ما يهمنا في سياق هذا المقال هو أن ثمة اعتراضاً ما بوجود العرب وبحقوقهم. وهذا الاعتراض تابع من خوف عميق من أن لمصر الفلسطيني داخل الدول الصهيونية يهدد هويتها اليهودية ويهدد الطبيعة الإحلالية للكيان الصهيوني، بل إن بعيل يطرح السيناريو الثاني: «هناك مخاوف» إذا ستمرب سيطرة إسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزة من أن تشتت حدة المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي (أي الحوار المسلح مع المستوطنين)، ثم تنص حتى «مقاومة إلى لعرب الإسرائيليين المقيمين في لثنت الصمير وفي الجليل بحيث يطلب حرب إسرائيل بعد جيل أو جيلين الانضمام إلى المطالبين بحق تعزيز المصير للفلسطينيين».

ولكن كيف يمكن البصدي لهذا انسيار وقتك الحميم؟ يرى بعيل «أن ذلك يتم من خلال إقامه دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل وكلما سارعت إسرائيل في تقديم مبادرة للسلام المتدرجة للشعب الفلسطيني كلما كان ذلك أفضل لها». ثم يأتي بعد ذلك يحشد هائل من التفاصيل عن الجمارك والكهرباء وعن ارتباط الدولة الجديدة بالأرض، إذ لا بد أن توجد الدولة مقيدة وليس لها من السولة غير لاسم

ويمكننا اختيار شلومو أهتبري كمثّل على النموذج الثاني

وأقنيري هذا من كبار المكبرين الإسرائيليين وشغل منصب مدير عام وزارة الخارجية في حكومة العمال بين عامي ١٩٧١ - ١٩٧٧ وهو يتحدث أيضاً عن أرض إسرائيل ذات التراث اليهودي السعيد وأرض الخلاص بالنسبة لليهود، والصهيوييه هي الحركة القومية يهودية التي ستقوم بعملية لخلاص هذه (وهو في واقع الأمر تعيين للأرض وتقييد لأصحابها الأصليين، أي العرب) وهو يرى أن المطالب الصهيونية هي كافة مناطق أرض إسرائيل مطالب ملالة، ولكن الحركة الصهيونية رفضت لقرار التقسيم لأن أحداً في العالم «لم يكن يؤيد المطالب اليهودية». ثم يصيف إلى هذا ديباجات أخلاقية من أن الصهيونية «تجد سموية هي المطالبة بحق تقرير المصير لنفسها، ومعارضة منح هذا الحق لئلا سكانية أخرى». ويسمي أقنيري نفسه من أتباع الصهيونية السوسولوجية (في مقابل صهيونية الأراضي) وصهيونيته تهتم بالطابع اليهودي لدولة، أما صهيونية كالتن فهي تركز اهتمامها على ضم الأراضي ومن هنا حيث «المعتدلين» عن الأرض في مقابل السلام ولكن مهما كانت الأسباب (الصعوط الدولية أو عذاب الصمير لصهيوني أو الخوف على الطابع اليهودي لدولة) فإن أقنيري يطرح الحل التالي الذي يسميه حلاً وسطاً، «لا دولة إسرائيل الكاملة ولا دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، بل اعتماد بعيد الأثر لقبول الحل الوسط في إطار حل أردني - فلسطيني»

ولكن هذه النماذج الثلاثة تغطي كل الانحيازات السياسية الإسرائيلية تجاه دولة مع أحلاف طفيف في الديجات، فحوش إموثيم والليكون ينتميان للنموذج الأول، بينما تنتمي بعض الأحزاب الصغيرة الليبرالية ومابام للنموذج الثالث وينتمي الحراخ للنموذج الثاني

خصوصية الإدراك الإسرائيلي.

نجد أن وسعاً خريطة الإدراك الإسرائيلي لمكرة لدولة الفلسطينية وبقبطلها برؤية الذات ورؤية الآخر لا بد وأن بوصف بعض النقاط الأساسية، كمحاولة لتوضيح للويد من الأبعاد القصصية

١ - يلاحظ أن جميع الصيغ الصهيونية، المتطرفة منها والمعتدلة اليمينية منها واليسارية، لا تقرب البتة من قضية الفلسطينيين الذين طُردوا عام ١٩٤٨ واستوطنوا سوريا ولبنان والأردن ومصر وأنحاء أخرى متفرقة من أنحاء العالم العربي، وهي لا تذكر بتاتاً قضية الفلسطينيين الذين يعانون بحقوقهم في حيف وبإف وعكا وكل بقعة في أرض فلسطين المحتلة والذين صدر قرار من هيئة الأمم لتأكيد حقوقهم في العودة إلى ديارهم أو التعويض لأن لا يريد العودة

٢ - لا يتحدث الصهاينة البتة عن الأرامي حلف الخط الأحمر لنفي خصصها قرار التقسيم للفلسطينيين مثل الجليل وغيرها من المناطق وهكذا، فقد حول الخطاب الصهيوني الخط الأخضر، إلى مطلق صهيوي جديد لا يأتيه بإطل من بين يديه ولا من خلفه، وعليه الرضوخ والقبول. وهذا أيضاً أمر مصقي ومفهوم، بالتفاوض بشأن الأرامي فيم وراء الخط الأخضر وبشأن حق العرب في السكن في فلسطين المحتلة قبل ١٩٤٨ هو في واقع الأمر تفاوض بشأن فك الكيان الصهيوني وعليها أن نعي ذلك نعلماً، فعدونا بعه وإن كان لا يتحدث عنه

٢ - يلاحظ أن كل الحلول مبنية على فكرة لتقسيم والرضوخ، وأن أحد الأطراف سيضطر الطرف الآخر للتسليم بوجهة نظره، فالصهاينة يرون أن رؤيتهم للتاريخ هي الرؤية الوحيدة

العليلة التي لا يمكن التراجع عنها على مستوى العقيدة حتى لو تم التراجع عنها على مستوى الإجراءات البرجماتية. وقد لحص ذلك الموقف أهارون ياريف بقوله «الصهيونية هي حركة لتحرير الوطني للشعب اليهودي .. اصطلمت بالحركة القومية العربية عللة والحركة القومية الفلسطينية خاصة» ولكنه يضيف «إن اقوالي هذه لا سطوي على سرل أو استعداد للسرل عى تعبوه حقت التاريخي في لرتس يسرائين وهي صلاقتا التاريخية بهاء. هذا الموقف ابدئي السائد في صفوف الجميع يطق دائماً استعداداً كاملاً لدى كل الصهاينة. مهما كان موقفهم على خريطة اسصل الإدراكي السياسي، أن نزلقوا دائماً نحو لتقميب العرب وإنكار حقهم في إنشاء دولة حقيقية خاصة بهم إن سمعت الظروف، كما أنه يصفي صيغة التشريعية على موقف دعاء إسرائيل الكبرى، هالأصل في الموقف الصهيوني هو ابتلاع كل الأرض وتقميب كل العرب، والاستثناء هو المرونة و الاستعداد لتفاوض بشأن الأرض خارج المحط الأخصر وبشأن الفلسطينيين خارجه وتل هذا، يصبر كيف أن الاستيطان الصهيوني في الضفة العربية قد بدأ إبان حكم العمال المعتدلين وأنهم اعتمدوا ملايين الدولارات لإنشاء مستوطنات هناك هي نفس الأرض التي بدأ يبرير بالإعلان عن استعداده للتنازل عنها مماثل السلام

١ - لا بد وأن نحدد خصوصية علالة لإدراك الإسرائيلي للفلسطينيين وتفكرة الدولة الفلسطينية بالسودك الإسرائيلي، فهي علالة مركبة لأقصى حد، وتختلف عن علالة إدراك العربي لدولة الصهيونية وسلوكه نحوها إذ إن محدات سلوك العربي نحو الدولة الصهيونية مختلفة عن محدات سلوك الصهيوني نحو الدولة الفلسطينية

أ) ومن أهم العناصر التي يجب ذكرها ابتداءً أن الحركة الصهيونية منذ نشأتها حركة تعتقد إلى الجماهير، فهي رأس دون جسد وروية دون تجسد وهذا يعود لأسباب تاريخية عديدة من أهمها أن الجماهير اليهودية في شرق أوروبا أثرت الهجرة إلى الولايات المتحدة على الهجرة إلى فلسطين

ولا تزال الحركة الصهيونية حتى الآن تعاني من هذه الظاهرة التي يعبرون عنها بعبارة «تصوب المصادر البشرية». ولكن ما يهمنا في هذا السياق أنه، يقاب الجماهير، كان المنظرون الصهاينة يحددون أطروحاتهم النظرية دون أخذ موقع التاريخي (ممواء واقع الجماعات اليهودية في معالم أو واقع فلسطين) في الاعتبار. فوجد هرتزل يسجل عبارة «من النيل إلى الفرات» في مذكراته. ولكنه في اليوم التالي يقبل بالتنازل عنها، ويرمى بصيغة «رجمانية»؛ كلما زاد عدد المهاجرين تزداد رقعة الأرض التي سنولي عليها. ثم تم بكن عنده مانع من الاتصال إلى شرق إفريقيا بل ويرى يوري أفندي في التوسعية الصهيونية لم تعد مرتبطة بأي إدراك صهيوني أو مضطهد رهيب أو غير رهيب، وإنما أصبحت مرتبطة بمو [إسرائيل الذاتية، وبما يُحسب منها من القوة الاستعمارية التي ترعاها. فما يحدد سلوك الصهاينة ليس إدراكهم أو رؤيتهم وحسب، وإنما أيضاً، وبالدرجة الأولى، قدرتهم الذاتية «المستمدة من الدعم الإمبريالي» ويمكن أن يصيب ومدى قوة أو ضعف الغرب

ب) عتمدت الحركة الصهيونية ثم ندولة لصهيونية على دولة عظمى تصبى لها الهقاء وتحقق لها الأمن نظير أن تقوم الدولة الصهيونية على رعاية مصالحها في الشرق الأوسط وقد ازداد اعتماد الدولة الصهيونية على الولايات المتحدة لدرجة غير

عادية حتى أنه يمكن القول بأن الولايات المتحدة أصبحت طرفاً في العقد الاجتماعي الذي يستند إليه التجمع الصهيوني وهذا يعني أن الإدراك الصهيوني للدولة الفلسطينية ليس هو لمخبر الوحيد الذي يحدد السلوك الصهيوني، فالولايات المتحدة، التي تقع خارج نطاق هذا الإدراك، تحدد سلوك الصهاينة بشكل قد يكون أكثر فعالية من الإدراك ذاته.

لكل ما تقدم يجب أن نكون في منتهى الحذر حين نرصد التبعيات التي تدخل على الإدراك الصهيوني لمكرة الدولة الفلسطينية، فما يقال إنه تشدد قد لا يكون تشدداً على الإطلاق، وما يسمى بالاعتدال قد لا يكون إلا تعبيراً عن الثقة بالنفس والصلف بل إنني أعتقد أن تصاعد الضغط العربي على الجيب الصهيوني وتصعيد الحوار لمسلح سيؤدي إلى التشدد في دة الأمر، فهذه هي طبيعة مجتمعات التي تستند إلى رؤية هاشمية، فهي تزداد صلابة ومركزاً وبحراً مع ترايد ضغط التاريخ على الأسطورة، ولكن هذا التشدد قد يكون في حد ذاته مؤثراً على تراث التورات داخل بكان، وبالتالي احتمال ترشيده أو ترشيده بعض القطاعات داخله وتعمير حريظتها الإدراكية العصرية وانعكس صحيح، فحينئذ يركز العرب لقوم ويحلون للراحة ويظهرون استعداداً للمرونة والاستسلام للصراع بالشروط الصهيونية فإن العدو على استعداد لأن يمنحنا بعض الحقوق المدنية ويظهر تفهماً لبعض مطالبنا المعادلة مثل حرية لعب كرة السلة أو كرة الطاولة أو كرة بقاء داخل ملاعب حرة مستقلة تابعة لبلديات فلسطين لا مطالب لها ولا أظاها.

إن الاعتدال الصهيوني ليس مؤشراً على تسامح لصهاينة أو تعير حريظتهم لإدراكية، وإنما العكس، فهو مؤشر على تزايد

أصلب هذه الخريطة نتيجة للتعادل العربي، فالاعتدال والتسامح غير ممكنين مع العربي الحقيقي أما هذا الكم لهامشي المهم الذي يقع على عتبات العدو يطلب منه المعزة والرصاء، ويتحدث عن مسافورة باعتبارها المثل الأعلى في حالة هي أقرب إلى العياب منها إلى الحضور، فإنه يمكن ممارسة التسامح والاعتدال معه

هوامش

الفصل الخامس

(١) كل النصوص مستقاة من كتاب «هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟» الذي أعده معهد فان لير في إسرائيل، ونشرته دار الجليل ترجمته في عمان (الأردن)، ١٩٨٦.

استرجاعها من خلال الجهاد اليومي المستمر.

استجابة المستوطنين الصهاينة لانتفاضة عام ١٩٨٧.

إذا ما حاولنا أن نرصد استجابة المستوطنين الصهاينة لانتفاضة ١٩٨٧ لوجدنا أن هناك ممولتين اثنتين وحسب: «الاعتبال» و«التشدد» واللذان يشار إليهما بالجمائم والمقصود، وهذه طريقة متعمدة جداً للرصد، ولعلها تعود إلى نوع من تبسيطات المروج المثالي الإدراكي الذي يحوّل الإنسان المركب إلى سادة بسيطّة ثم ينظر لها من الخارج كما لو كانت مجرد حركة دون دوافع أو وعي وتميل التفسيرات الملية إلى تصنيف الواقع بأسره إلى سائب وموجب، وقد قام أحد كبار المعلقين الصهيونيين العرب بكتابة مجموعة من المقالات عن أثر الانتفاضة على «المستوطنين الصهاينة» فقام بحصر عدد المصابين في المستشفيات والجرحى وكمية الأحجار المستخدمة، وكان هذا هو «الأثر» الذي أحدثته الانتفاضة فهو في درسته هذه لم يرد عن تسجيل واقعة إلقاء الحجارة في شكلها الحارحي - كعجو يخرج من يد عربي ويستقرّ على رأس إسرائيلي - دون أن يذكر ماذا حدث للعربي من إحساس (بالانحصار) وماذا حدث للخريطة الإدراكية الصهيونية نتيجة استجابة الصهاينة للواقع الجديد وهي استجابة متنوعة مركبة، فهي يمكن أن تأخذ شكل تشدد أو اعتدال أو تشدد هلامي يخفي اعتدالاً فعلياً أو خوفاً يدفعه للصرار أو رفضاً لاستيعاب الموقف فالحجر فعل لا يحدد استجابة المصاب وإنما يحدد مركب من العناصر النفسية والتاريخية هي صدمات الإسرائيليين حقائق مباشرة أو وقائع مصمتة ليس لها دلالات حقيقية في ذاتها؛ فالإنسان الذي يصاب بحجر في رأسه يمكن أن يهز ويهز ويمكن أن يتحول إلى وحش

كاسر أو يخال شيئاً من الحكمة والرشد حينما يرتطم الحجر برأسه ومن الصعب أن يمي مصطلحان فقط (حملهم وصقور) عرض وصف هذه الاستجابات المتداخلة المعقدة

وسأحاول من ناحيتي توسيع هذا النموذج الإدراكي بما يتفق مع تركيبية الظاهرة الصهيونية وأصم بالحمام والصقور المألوفة، ظهوراً إدراكية أخرى وهي لدجاج والنعام (وتوقعات أخرى)، وهالحمام كد يقال ممابة دائماً وه صقور، نُقترص فيها أنها عدوانية شرسة وهالدجاج - حسب رأي السبراء - متقصص في الهرب، أما النعام فإنه يجهد في دفن رأسه في الرمال واعتقد أن النعام هو أكثر الأنوع الإدراكية انتشاراً من الطيور في المصوطل الصهيوني، خاصة بعد الانتفاضة، وإن كان الأمر لا يقدم وحود عدد كبير من الدجاج الذي يحدث كالأصقور، أو وجود قلة نادرة من الحمام ليس لها وزن كبير (على عكس ما تصوّره الصورة المجازية الشائعة) أو وجود عدد كبير من الصقور التي تحدث كالحمام ويرى الدكتور قنري حضي أن اليهود الشرقيين حمام ثود أن تكون صقوراً تثبت، خلاصها، للنخبة الحاكمة الإشكارية، وقد أسقط الملقون السياسيون كل التدرجات والتداخلات من إدراكنا لأن نموذجهم المعرفي كان قاصداً سادجاً يحوي مولتين اثنين تم سثيرانهما من علم السياسة العربي أو من الصحافة العربية التي تتمتع باحترام شديد بينهم، ولنا قينا لم مر الدجاج أو النعام ولا عشرات الطيور الإدراكية الأخرى القابعة التي تنتظر من يكتشها ويرصدها

وقد وجهت صحيفة «حداشوت» سؤالاً إلى عدد من الإسرائيليين البارزين الذين يمثلون مختلف التيارات السياسية والثقافية يقول لسؤن: ماذا كنت تفعل لو كنت فلسطينياً؟ فجاء

لقد من معظمهم بأنهم كانوا سيمتلون ما يملكه الفلسطينيون الآن. أي الانضمام بالانتفاضة بل واصفاً أحدهم أنه كان سيقبل أكثر من ذلك بمشيرة أصمها وقيل هذا الوقت بكثير . ودكت ساقيل ذلك في دهرجوف (أحد شوارع تل أبيب للرئيسية) بدلاً من نابس، فهناك سيكون تأثيره أقوى، ولواقع أن هذا التصريح لا يؤدي بالضرورة إلى سلوك حمائي، فهو يشبه ديار كل مدركاً تماماً لـ «عدالة المطالب العربية وأن العرب مستثرون حتماً ومثاليون ضد الصهيونية ولكن مثل هذا الإدراك لا يؤدي بالضرورة إلى الانحياز للمظلومين المنتعشين، كما أسلمنا، هذا يحدد سلوكك النهائي ليس الإدراك وحسب وإنما موازين القوى أيضاً ومجموعة هائلة من العناصر الأخرى (الذنية والمعنوية) فإن كان العربي ضعيفاً خيلاً، فإن إدراك «عدالة» مطالبه قد يؤدي إلى مزيد من التشدد لأن صاحب المطالب العدالة قد يتحرك في أية لحظة للحصول عليها، ولذا لا بد من صبره بيد من حديد قبل أن يصبح قوياً وقيل قوات الأوس هذا هو موقف بن جوريون وجابوتنسكي وشلومو أرويسون وغيرهم. ولذا يمكن القول بأن المثقفين الإسرائيليين الذين عبروا عن تعهمهم لموقف العرب ليسوا حمائم بالفعل وإنما هم حمائم بالقوة بالعس، بحرفي والفلسفي. وهذه الاستجابة الحمائية محصورة في أوساط المثقفين وبعض الشخصيات السياسية، التي ليس لها وزن كبير، ولا اعتقد أنها تؤثر في الرأي العام الإسرائيلي أو في صنع القرار الإسرائيلي.

الدجاج والنعام.

أما الدجاج فهو موجود بكثرة؛ يائيل إسكيد، مثلاً، يقرر أنه «لا يذهب الآن أحد إلى غزة سوى الحمقى [المستوطنين] ولا

ينهب أحد إلى الضفة إلا بسبب وحيه، سبب وجيه للماية، هو أنت خائفون»^(١). وعملية تدجين المواطنين على يد جسرالات الحجارة لا تزال قائمة على قنم وساق. وكما قالت الحيروسليم بوسنة^(٢) فإن عدداً أقل من المستوطنين يمسكوا الآن وهم لا يتركوا الأطفال بمصرعهم ولا يخرجون إلا لأمر ضرورية. وقد صرح أحد الصحفيين في صحيفة حداثوت بأن العائلات اليهودية «تشهد الآن جدلاً حاداً إذا ما أرادت المصير. فلذا ما سافر مستوطن وحده فهو «معامر» أما إذا اصطخب زوجته وأطفاله فهو أقل «مجنون»

وتؤكد مستوطنة صهيونية أن طريق المستوطنات قد خفت، وأنه حينما تمر حافلة لمستوطنين بحوار مخيم عاناذا (المسطيني) فإنها تسرع بطريقة مجبوبة لتسحب الأجر. وبدأ المستوطنون يبدلون المئات ويعلقون أمتاحل بعد أن كانت المستوطنة تتمتع بحو اسباحي بهيج؛ إن الوضع - كما تقول السيدة مخيم، خاصة وأنها تعرف أن الجنود الإسرائيليين أوقفوا مظاهرة من ٦٠٠ عربي كانت موجهة نحو المستوطنة.. لهذا كان يمكن أن يحدث لنا لو أن الجنود عشروا في إيقافهم؟ ماذا كان يمكن أن يحدث لألمانا؟

وتظهر حاضنة «الحاحية» للمستوطنين أحياناً في محاولتهم الظهور بمظهر الصبور وما هو سائق الحافنة رقم ٢٥ (من المدس للصفة) يشهد بركابه من المستوطنين الذين لا يهلون من الحجارة ويجيبون عن الاستجابة، فهم كما يقول ميمومون الهجوم في أي لحظة وممسكون عليه وعدم يبدأ الهجوم، فإنهم يتصرفون كالجنود المدربين على ما يجب عمله إذ يبتلعون في أرض الحافنة^(٣). ولصورة الكامة هنا هي صورة إنسان قلبي يوقع الهجوم ويجيد فن الاختباء، أي أنه دجاجة تم تدريبها.

ولناخذ المستوطن ليموني جيان، كمثال آخر، فهو رجل

عجور، يهودي أرثوذكسي يميل خيائياً، وهو صقير لا شك فيه، ويطالب بضرب العرب وتحطيمهم، يقول: «بعض يعمل ذلك عند الحدود والأمر لا يختلف هنا [في المناطق المحتلة]، هناك حدود وهذه أيضاً حدود، كل البلاد حدود»^(٤). الواقع أن إدراك هذا المستوطن العجور لخططين، المحتملة كبلد كله حدود هو إدراك طريف للغاية يبين مدى الهلع والإحساس بعدم الأمن

ومن أيسر الطرق لتجديد استجابة المستوطنين مراسل علماء النعسان الإسرائيليين. وقد لاحظ بعض علماء النعسان الأمريكيين انتشار ما سموه بأعراض فيتقام بين جود الإسرائيليين (وهو الإحساس بالإحباط لدحولهم في حرب غير كريمة لا معنى لها لا يمكنهم كسبها أو الاتسحاب منها) فيهاجمهم اليمين الإسرائيلي لثقافتهم ولعدم استخدامهم لمريد من النعمه كما يهاجمهم يهود المائم وبعض لحماكم لإسرائيليين لأنهم يعطون عظام المتعمسين، وذلك دور أن يملحوا عليهم أنبدل وقد ذكرت صحيفة هآرتس أن نسبة المستوطنين الصهاينة الذين يرتادون الميلادات النفسية قد ارتفع ثلاثة أضعاف بسبب القلق لدى أصنافهم من جراء استمرار الانتفاضة وقد عُقد اجتماع في بلدية تلنس لمناقشة هذه الظاهرة، فأشار مدير إحدى المدارس الثانوية إلى خوف المعلمين من الوصول إلى منازلهم فيسبب خوفهم الشديد من تساقط لحجارة على الحافلات وعلى رؤوس الركاب، كما غير مدير مدرسة آخر من خوفه من تسرب هذا الخوف والمرض النعسي من المعلمين واطلعة ليشمل كافة الصهاينة في الأرض المحتلة^(٥) وعلى كل، ليس من السهل رصد استجابات المستوطنين ومحاوهم بالطريقة التقليدية فقد جاء في ليجيروسايلم بوست أن أحد علماء النعسان الإسرائيليين أعلن أنه،

بعد ٤٠ عاماً من الاحتلال، لم تظهر حالة واحدة بين مرضى التمس تعبر عن قلقها من العرب، وكان عملية الكبت كاملة نظراً لأن التهديد العربي كامل، وكأنه لا يمكن للجهاز العصبي للمستوطن الصهيوني أن يواجه العربي بشكل مباشر ولو على مستوى الوعي ولذا فإن من الواضح أن نتائج بحوث الدراسات الإسرائيلية هي نتائج استغلصها الباحثون وحردوها من أقول المرصى الذين أبى معظمهم أن يشير إلى العرب كمصدر لمخاوفه

أن يرفض المرء أن يكون «مواجه»، هذه مسألة إبداعية واعية، ولكن أن يتحول المستوطن إلى «معام»، فهذا أمر يتم رغم إرادته لا يلاحظها هو وربما يلاحظها الباحث الذي ينظر إليه من الخارج، وكما أشرنا، فإن لتعام في المستوطن الصهيوني كثير، مثل جاباي (صاحب مطعم صغير في مستوطنة بيسجاب زئيف) الذي أسكت خوفه بقوله «أهم الأتباء الآن أن نوقف نصف من الصرغين وأن نجلس معاً ونشرب القهوة ونحل مشاكلنا كبشر»^(٧)، ولكنه لم يتحدث قط عن طريق الاتصال لهذا السلام وكيف يمكن الوصول لتسوية ما، وما هو نوع لقهوة استلوية أو كبيتها؟.

وقد حدد أحد المصباح الإسرائيلي هذا الموقف لتعامي بدقة بالغة حين سرح لصحيفة حداشوت أن اختفاء ظاهرة الانتفاضة الشعبية الفلسطينية بعضاً سحرية (أي على طريقة النعم) هو مجرد تغيير عن آمال وأوهام يجب أن يستيقظ منها الإسرائيليون (بدلاً من دفن رؤوسهم في الرمل أو في أرض فلسطين). ولعل هذه الفضا السحرية توجد في أحد مياني حزب الليكود، إذ يقول شارون «إن الانتفاضة سوف تنتهي فور وصول لليكود إلى السلطة في نهاية النعم»^(٨) ولكن شارون يعني بصيغة الحال حمامات الدم غير السحرية، ولكن، حتى لا نصنع دماء،

كان عليه أن يمنح لنا الإجراءات، لأن حمامات الدم تؤدي أحياناً إلى تصعيد الانتفاضات والثورات كما عرف الأمريكيون في فيتنام والمربسيون في الجزائر.

وقد وصف دانيال جيمرون إدراك النعمان هذا في مقال بمسوا «لماذا الانسحاب من جانب واحد هو المخرج الوحيد»^(٩) فقال «إن المسؤولين [للعنم في مصطلحنا] يظنون أنهم سيحصلون على كل شيء دون مقابل. حدوداً آمنة وعمقاً استراتيجياً، وعمالة رخيصة وسوقاً مضمونة عليهم، وأرضاً لتدريب الجيش الإسرائيلي، وتجاهلاً مستمراً للمداوة العربية [لكن زعيم انتعرد بين لعرب والتدهور الأخلاقي للمجتمع الإسرائيلي وتآكل وضعه الدولي يد عن استئالة هذا]». وبعد اندلاع الانتفاضة، ترجم إدراك انعام نفسه إلى تركيز على الجانب الفني لقمع الانتفاضة كما لو كانت مسألة مجرد إجراءات يتم تنفيذها أو خطوات يتم اتخاذها بحيث تتحول القضية بمرتها إلى مسألة إجرائية [مسألة هل الرصاص المطاطي ومدافع المياه كفيين بالقضاء على الانتفاضة أم لا] دون التوجه إلى مسألة النهائية. وقد اشتكى شخصون يبرير من أن الوزارة الإسرائيلية تتحلى بنفس الموقف لدى سمية بالانعامي فهي تتأهش لنقط الحقيقة القضية الخاصة بإجراءات الأمة وطريقة التصدي للانتفاضة وتتجاهل تماماً الحلول السياسية اللازمة. وأضاف «في المستقبل حينما يقرأ أحد محاضر جلسات الوزارة فإنه لن يصدق عيبه»^(١٠)

وقد كتب ب. مايكل في هآرتس^(١١) مقالاً بمسوا «عيد ميلاد سعيد» وصف فيه بشكل كوميدي إدراك النعمان هذا، فقال: «الحمد لله! أصدرت الحكومة بياناً أكدت فيه أنه لا يوجد عصيان مدني في إسرائيل» وقد اقترح بكتاب إصدار قانون باسم «قانون عذاب

المصيان» بقصتي بعاقبة كل من تسول له نفسه أن يدعي أو يكتب أو حتى أن يسمح بأن هناك عصياناً مدنياً ورداً على هذا السؤال تبقى مع هذا مشكلة صغيرة وهي ماذا يحدث إن هناك في المناطق المحررة من أرض إسرائيل؟ ثم يتساءل كاتب المقال أنه يحاول أن نصف الانتفاضة بطريقة كوميدية لقرر ما يحدث وتكره في ذات الوقت أي يقول الشيء وعكسه فيقول كلمة مجموعات من الأطفال المزيين بعقاية الذين يفتقدون إلى المبادرة، يتصرفون بتلقائية ويتم توجيههم من الخارج من قبل المنظمات الإرهابية التي لم تنجح في اختراق المناطق بسبب المعركة المستمرة التي خاضتها قوات الأمن منهم، ولذا يمكن أن نقرر أن هذه المنظمات وحدها وراء هذه الانتفاضة الفلسطينية التي تظهر وراءها نصوص اليد الموجهة والتي يدل وجودها على فشل منظمة التحرير الفلسطينية أن تكسب دعم الجماهير المحلية إقامته بالاحتلال الإسرائيلي لو تركت وشأنها، فالاضطرابات ليست سوى حدث عابر مستمر ولكنها ليست عصياناً مدنياً».

إن إدراك العام هو المنصرية الصهيونية مقنونة (حزبياً على رأسها)، فالمنصرية الصهيونية تعبّر عن الرغبة الصهيونية في إحلال المنصر اليهودي محل العرب، ولذا فهي تهدف إلى تعيب العرب ولكن، إن عاد العربي بهذا المعنى، فهو على شاطئ الوصي ورفض الخيبات، فما العمل إذن، وما الحل؟ لحل التصادم - بطبيعة الحال - أن يذهب استوطن رأسه في الرمل فيعيب العربي مرة أخرى، ولكن الأمور ليست بهذه البساطة هذه المرة إذ إن العربي معك في يده بحجر - والحجر يؤلم ويصرخ وقد يقتل والموار المسلح يأتي بنتائج ملموسة في كل من رأس العدو والرهقة وخريطة الإدراكية

ورداً لنتمنا إلى المصور، فحدثت ولا حرج، فهم كثيرون،
 ف رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق شامير صرح بأنه لا توجد قوة
 هي انصاف ولا المتظاهرون ولا الإرهابيون ولا الضغط يمكنهم أن
 يمسوا إسرائيل من الاستيطان في كل أجزاء أرض فلسطين^(١٢)،
 وغني عن القول أن عملية الاستيطان ولا يمكن أن تتم عن طريق
 الحب والإحباء والإقناع الهادئ، فالمغرب ولا شك غير موافق على
 أن تؤخذ أراضيهم ولقد أصاب شامير^(١٣) أما أولئك الذين
 يقولون إننا نحن الإسرائيليين غزاة وأن مشيري القتل والقتلة
 والإرهابيين أصحاب الحقوق الحقيقية، فإننا نقول لهم من أعالي
 هذا الجبل من على مشارف آلاف العسين من التاريخ أنهم مجرد
 جراد بالقياس لنا، وكل يعرف ماذا يفعل بالجراد، فالصورة
 المحزنة هنا تحوي داخلها مؤشرات نحو الإبادة، ولكننا من حقنا
 أن نسأل أين هذا الجيل، أم أنه جزء من الخريطة الإنزكية
 الصهيونية وقد صرح راين بأن إسرائيل لم تستعزم كل أسلحتها
 بعد وأنها «ستعيد فرض الأمن حتى ولو كان موجعاً»^(١٤) وحسب
 تجربة الفلسطينيين العرب، نجد أن الأمن الإسرائيلي موجع دائماً
 وقد أشار راين إلى بعض الطرق التي يجب استخدامها لحرص
 هذا الأمن الموجع، فقد جبر المنتصين أن كل من يتحدى إسرائيل
 سيحسم رأسه على صخور هذه الملعة وحيطانها^(١٥) وصرح
 إسحق مردخاي قائلاً «إن قوات الأمن ستتخذ جميع الإجراءات
 اللازمة من أجل إعادة الأمن إلى مصابه، ولن تتوانى في استعمال
 جميع الوسائل من أجل تحقيق هذا الهدف».

وتلجأ القوات الإسرائيلية لكسر العظام وطلاق النار
 وترحيل القواد خارج الوطن بل إن الإبداع الصهيوني في القمع
 بدأ يأخذ أشكالاً جديدة، فهناك ما يطلق عليه «حظر التجول

النشيط^(١٦) وتلخص في اقتحام المنازل في الظلام أثناء حظر التجول حيث يجرى الجنود الصهيونية تفتيشاً عسكياً داخل البيوت ويهالون بالتصرب على رب العائلة والابن الأكبر.

وقد علل قائد الجيش هذا الأسلوب الجديد في القمع بأنه محاولة لإمادة بث الرعب من قبل الجيش في قلوب المستوطنين، فالهدف ليس نظام الحارحي وحسب وإنما إعادة الثقة الذاتية للجنود بعد أن أصبحوا أصعوبة طوال أسابيع ويبدو أن الاجتياح الأخير للبنا (عملية القانون و نظام كد يسميها الإسرائيليون، يهدف إلى بعض الشيء، فقد وصفت الصبداي تأييد هذه الحملة بأنها تشكل معجولة من جانب إسرائيل لاستعادة زمام المبادرة بمرص عضلاتها وإظهار أنها عادت إلى مقعد السائق. وقال مردحاي غور «سيذكر الاجتياح سكان الأراضي المحتلة بأن الجيش ليس ممككاً»^(١٧). لقد أدرك العدو أنها معركة خاصة بالخرائط الإبركية

وقد اقترح شلومو جاريت (رئيس المحابرات الأسبق) أنه يجب عدم الاكتفاء بهم منزل الإرهابي كمقوية، بل يجب هدم كل شيء في محيط قطره ٢٠٠ ٤٠٠ متر من منزله^(١٨) أما وزير الأديان ورعيم الحرب النوبي «المقدل» فقد أكد أنه يثمين على قوات الشرطة الإسرائيلية إزالة قرية بيتا في قضاء نابلس من على وجه الأرض تماماً وإقامة مستوطنة تحمل اسم «المتاة اليهودية التي قتلت فوق أنقاضها، ويجب أيضاً طرد وإبعاد مئات المواطنين العرب من سكان القرية»^(١٩)

وقد أدرك رفائيل إيتان، عضو الكنيست الحالي ورئيس أركان لقوب المسلحة الإسرائيلية الأسبق، بأن لانتقامية هي الطلقة الأولى في الحرب القادمة، وعلق على دجاجة الجنود الإسرائيليين

وكيف يولون الأذدر أمام الأحجار، وكيف أن المائم كله ينظر ليرى هذا المظر، وهي اقتراحات وينظر إلى جيش ضعيف وحكومة ممرقة لا تعمل وقد قرر إيتان أن يمدم اقتراحاته للمصاء على الانتفاضة وهي اقتراحات تقسم بكل تبسيطات المماذج المانية العملية والخرطة الإدراكية لصهيونية: «إذا أشعل العرب إطاراً في شارع رئيسي، فإنه لا بد من جر هذا الإطار إلى أقرب بيت في المنطقة من مكان اشتعاله، وحلال ثوان سيخرج سكان البيت ويطعنون الإطار لأن الإطار اشتعل سيؤدي إلى حرق بيتهم به، ثم يفعلوا ذلك». واقتراح أن تُسحب السيارات العربية من السير هي الشارع اسفلق يومسطة حاجر من الحجارة لمدة شهرين. وهذا لا يحتاج جيشاً كاملاً بل شرطيين يقض على حافة الطريق وأشار إيتان إلى حقيقة عامة وهو أنه بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٧ تم إبعاد (أي تقييد) ٨٠٠ عربي محرم (أثناء حكم الممرخ المعتدل)، ويجب إبعاد ٤٠٠ - ٥٠٠ محرم بل وإبعاد أمهاتهم وأبناء عائلاتهم والواقع أنه لا يوجد أي إبداع قمعي في اقتراحات إيتان. وكل من يود أن يحصل على اقتراحات معاملة عليه أن يدرس تاريخ الإرهاب الناري ليجد أفكاراً أكثر إبداعية وأكثر منهجية وأعلى كفاءة، فهمهم العقاب الجماعي ليس من اختراع لصهاينة وإنما هي ممارسة استعمارية غربية قديمة ونقلها راسخ.

ويعن للمستوطنون أيضاً في التشدد، فهم من يرى ضرورة صم القطاع والضمة تماماً وكما قالت جريدة هرتكفوربر انجماية في: «معظم الإسرائيليين مع خط شامير المتشدد» وهدفهم إنهاء الوجود لعربي في فلسطين» حتى يسجم الواقع مع الحرصة الإدراكية الصهيونية التي تغيب العرب تماماً، وعندما وقع حادث بيتا (حيثما وقعت استيطانية صهيونية صغيرة صريعة رصاص

المستوطنين وأشيع أنها رحمت بالحجارة) «طالب المستوطنون اليهود بتدمير قرية ييما على رؤوس سكانها وتسوية القرية بالأرض وشمطها بهائلاً من الخريطة حتى تكون عبرة للميرط»^(٢٦) ومن المستوطنين من يرى ضرورة تسوية الحساب مع العرب كما سواء الأمريكيون مع اليهود النحمر، على شرط أن يتم ذلك بعيداً عن عدسات التلفزيون^(٢٧).

لقد اقتبسنا حتى الآن كلمات الصهاينة المتشددة وحسب، ولكن يجب أن نفرق بين الأقوال والأفعال، فالأقوال لا تعبر عن الموقف بشكل متكامل وإنما تعبر عن التشدد اللغوي للإسلاو وعن بيته وقصده وحالته العقلية أي عن جزء من كل. ولدراسة المدي الحقيقية والكلية لتشدد لإسرائيليين، علينا أن نتجاوز لنية والقصد والدياجات لرصد عناصر أخرى مركبة تتجاوز إرادة القائل ذاته، فالتشدد اللغوي، أي الموقف الصقري الكلامي، قد يكون أحياناً بمثابة عطاء لتمطية لموقف الدحاجي أو العامي الصقلي

خذ مثلاً رغبة إيتان في أن يمنع مرور السيارات وبكفي بجنديين يقفان على ماصية الشارع . هل درس إمكانية إلغاء لحجارة عليهما وأن انجنديين سيحتاجان إلى فرقة عسكرية كلمة لحمايهما؟ وبخصوص ترخين مئات القيادات.. ألا يحتاج الأمر لآليات معينة وآلة قمعية معينة ما دام القاعدة الجماهيرية للثقة حول هؤلاء القادة في حالة استمرار؟ وبك مثل هذه الأسئلة قسرس أن صاحب الاقتراح عنده الصورة الكلية، والأمر ليس كذلك، فالنموذج الإدراكي المدي يجتزئ الحقائق ويستبعد مجموعة من الحقائق الإنسانية والتاريخية، ولذا يتحول الصقري الهائج من منظور المدرسة إلى نظام مصحك، خذ مثلاً رغبة هذا المصطلح

الذي يود ذبح العرب وإبادتهم بعيداً عن كاميرات التليسكوب، تماماً كما فعل الأمريكان في تحربة استيطانية مماثلة، وهذه هي شهوة المفقور ومع هذا، وبعد التدقيق نجد أن موقفه هذا يعامي تماماً فهو يعرف أن تجربة الأمريكية الاستيطانية الإحلالية تمت ابتداء من القرن السابع عشر في منطقة لم تكن فيها الكثافة السكانية كبيرة، تسكنها عدة «أمم» من اليهود، لتسم حضارتهم بعدم التركيب، رغم جمالها ورفعتها، ومن هنا كان من السهل إبادتهم بعيداً عن عين التلمزيون الشيطانية أما هذا المستوطن الصهيوني فقد تمت تجريته لاستيطانية ابتداء من أواخر القرن السابع عشر في منطقة تعجّ بالسكان الذين تحيط بهم ملايين من إخوانهم، كما أنهم يسمون لتراث حضاري قديم ومركب وعلاوة على كل هذا، أصبح في وسعهم لأن الحوار مع الكاميرا وكماشة غير عادية، فانتشلت هنا هو من قبيل ما يمكن تسميته بالعادة السرية السياسية والحلم بالاستحيل اللذين

والذي يود إعطاء العرب حقوق مواطنين من الدرجة الثانية رغم إدراكه بأنهم أغلبية لم يبين كيف يمكن تحقيق ذلك، ولعله لو طُرح عليه عدة أسئلة أخرى لظهرت لتناقضات الفعلية الكامنة خلف الموقف النعامي المتشدد

ويجب أيضاً أن نرى التشدد باعتباره تعبيراً عن أزمة حقيقية وعميقة فالصهاينة - كما أسلفنا - على استعداد لإظهار قدر كبير من التسامح حيال العربي إذا قبل هذا بالتطبيع وبأن يكون قطعه غير للصهيوني يمكنه استخدامهما وتوظيفهما لصالحه حيثئذ يمكن للعربي أن، يكتسب كثيراً من الحقوق المدنية وبعضاً من الحقوق السياسية، ويمكنه أن يلعب ما شاء من نفس الطاولة، أي أن يمارس هوايته إذا كان بلا هواية.

إن غاب العربي، وإن قمع وخضع، أي لم يتخذ الشرعية الصهيونية، قبوسع الصهيوني أن يتخذ موقفاً معتدلاً تجاه دجاج عربي مستأسس تم تطعيمه، أم إن تحول العربي إلى صمبر ذي هوية يهاجم دفاعاً عنها، فإن الاعتدال الصهيوني يختفي ويتخلى العدو عن ديمقراطيته الغربية المزعومة ويضرب حينئذ بيد من حديد، فالتشدد من هذا السطور له مدلولات تعلمت مما يود وسائل الإعلام العربية نقله لنا.

الشخصية القومية الإسرائيلية.

مع هذا، نرى أنه من الضروري أن نحكم على التشدد الإسرائيلي في إطار أوسع بحيث نستخدم مؤشرات أخرى، مثل نسبة سروج، كمؤشر على التراخي فاستوطن الذي يصيح ويصالب بإهلاك العرب ثم يجري للسفارة الأمريكية في اليوم التالي يحصل على تأشيرة هجرة، هو في واقع الأمر دجاج في ريش الصقور وعروف الإسرائيليين عن الإحباب يصلح أيضاً كمؤشر آخر على مدى التشدد والتراخي فإذا كانت المعركة معركة بقاء كما يقول الصهاينة، وأنا أوافقهم الرأي فإن من يجب أكثر هو صاحب المزم وبمزيمة وليشار من يشاء بين النساء الإسرائيليات والمرأة الفلسطينية، لموضره التي تصعب الأطفال فتدخل الفرحة على قلبي وتدخل الكآبة على قلب الصعود، ويمكننا أيضاً أن نستخدم مؤشرات مباشرة جداً نتحدث عن المستوصيين «الذين توقفوا عن إصلاح منازلهم أو توسيعها أو زراعة حدائقها لأن المستقبل لم يعد مؤكداً كما كان من قبل»^(٢٢)

إن التشدد ينصرف، إذن، إلى الصهاينة اللمظية وحسب ولا يصلح كمؤشر على كل العسوك، فهو دالٌّ دون مدلول، أو دالٌّ جرئي

وحسب. والآن، هل يمكننا القول على طريقة علماء «الشخصية القومية» بأن التشدد اللفظي عند الإسرائيليين يبعث عن حبهم للأماكن وأنهم يطربون لله، وأن لغتهم - نظراً لكونها لغة قديمة متحجرة - تفرض عليهم سبيحاً لمظية لا تفيو بالصورة عن حقيقة موقفهم؟ أنا لست من المحمسين لقضية دراسة «الشخصية القومية» هذه (خاصة وأنها استحدثت كفضا لصرب الإنسان العربي في العقود السابقة)، إذ إنني أرى أن «السمات القومية» للإنسان، إن وجدت وتم تعريفها، وهذه مسألة ليست بممتحيلة ولكنها في غاية الصعوبة، فإنها عبارة عن سمات محايدة يمكن توظيفها للهوى أو للنكوس، للخير أو للشر، وهي سمات لا تؤدي إلى هذا الموقف أو ذك بشكل حتمي فالسمات هي حد ذاتها لا تصلح كنموذج تفسيري لملوك الإنسان، وإنما تصلح كمؤشر على استعداد كامن قد يتحقق وقد لا يتحقق. واعتقد أن بعض الشيء يطبق على الإسرائيليين، فلا يمكن القول بأن الإسرائيلي شجاع بطبعه أو أن اليهودي طماع بطبعه وهكذا.

ومع هذا نجد أن من أهم الاستجابات للانتماء تلك التي حاولت أن توجه النقد للشخصية «قومية» الإسرائيلية، وكأنهم يقولون لقد فشلنا في تعليمها ومن المواضيع المثيرة في الكتاب الصهاينة موضع افتقاد اليهود للسلطة، فاليهود (عبر التاريخ) كما يرسم للصهاينة - لم يمارسوا السلطة السياسية قط، وقد بعث المعلمون الإسرائيليون مرة أخرى هذه الفكرة وبدأوا في انتقاد الشخصية القومية الإسرائيلية من هذا المنظور باعتبارها شخصية تقتصر إلى «الإحساس بالدولة» وتفتقد الخبرة على استخدام السلطة ومن أهم الشخصيات التي ذكرت في الموضوع عدة مرات إسرائيل هارن، رئيس مجلس «المستوطنات في الضفة الغربية

والقطاع ورئيس مجلة بيكودا لسان حال للمستوطنين قال، إن
الإسرائيليون يتصرفون كاليهود الألمان في نكريستال نايت أي ليلة
الكريستال (التي قام النازيون فيها بمهاجمة ممتلكات يهود ألمانيا
وتحطيمها) «والإندارات في كل مكان بأن نكارثة محدقة، ولكننا
أصبنا بالشلل» (٢٣) وقد أشار إلى ما أسماه الحل الأساسي في
الشخصية القومية، فالإسرائيليون - حسب تصوره - يفتقدون إلى
الإحساس بأنهم لا بد أن يشكلوا دولة ثم عقد مقاربة بينهم وبين
الشموب الأخرى فقال: «في أوروبا أو في أي مكان آخر لا يمكن
الفتارل عن المطالبة بأرض لأن شعباً آخر يعيش فيها» (٢٤).

وقد كرر يحرشيل درور نفس الفكرة تقريباً إذ أكد أن
«الشعب اليهودي» يمتد إلى تقاليد الدولة، أي معارضة الحكم (٢٥)،
وأن بعض المؤرخين يرون أن هذه عقبة كأداء في بناء دولة
إسرائيل، مما يدل على أنها إشكالية حقيقية بدأت تطل برأسها.

ومن أهم الشخصيات التي تخلصت في الشخصية
القومية العربية وبين مدى مصورها، يوشافط هركلي الذي عمل
مستشاراً للحكومة الإسرائيلية للشؤون العربية، ويتغير موازين
القوى، نجد أنه حول موضع الجراح للشخصية القومية الإسرائيلية
فكرر ما قاله هاريل ودرور عن إخفاق الإسرائيليين في فهم كيف
يمكن للدولة أن تتصرف تجاه الدول الأخرى، وفسر هذا الإخفاق
على أساس أنه نقطة قصور كاسية في التقاليد اليهودية (٢٦).

ويذهب درور، إلى أنه يمكن تمويم ذلك للاعتقاد إلى تقاليد
الدولة، الذي تعيش في ظلاله الشخصية الإسرائيلية، عن صريح
بذل جهد واع من جانب الإسرائيليين في التفكير من خلال
التاريخ (٢٧) أي أن الاعتقاد إلى تقاليد الدولة هو ما كنا سمعناه في
أوائل السبعينيات «رفض التاريخ أو الحلم بنهاية التاريخ» أي أن

يعيش المرء داخل الأسطورة الذاتية التي لا تعكس الواقع التاريخي بكل جدلياته ونتواتره ويحاط به الواقع من خلال أحلامه وأوهامه وحسب، ويبدو أن هركابي هو الآخر يربط بين رفض التاريخ وهذه السمة هي الشخصية القومية الإسرائيلية وإن كان يستخدم مصطلحاً محتملاً يسميه «إصغاء طليح ذاتي على عناصر النجاح»، وهو يرى أن الحركة الصهيونية الصهيونية مصابة بهد الداء أكثر من غيرها، إذ إن أتباعها كانوا يؤمنون أن يتفجروا على الواقع للوصول إلى الدولة، ولكنه في مكان آخر من المقال ذاته يعمم هذه المقولة على كل الصهاينة ويشير إلى أن الفعل الإسرائيلي ككل مصاب بهذا المرض الفاضل فيقول: «إن مشكلة إسرائيل ليست دائماً سياسية وإنما وراء سياسية» (ميت سياسية) أحياناً، وتتحدد هذه المشكلة في تشوش تمكيدها الأساسي؛ تعجيد لوهم، والقصور في إدراك أن الواقع يتحدد بعنود الممكن، وأن ما هو غير واقعي لا يوجد ولن يوجد، وتمجيد لإرادية (Voluntarism) كما لو أن الإرادة وحدها كافية لتحقيق الأهداف «وبعض الإسرائيليين ترفض مصطلحات الواقع دون أن تدرك أن لعبوا إرادة لا بد أن تؤخذ هي لحملات. وبمعنى سياسياً بشكل مجرد حسب احتياجات الصهيونية كأننا نعيش في فراغ [الأسطورة الممادية للتاريخ] وتتجاهل النظام المالي والرمز ومتطلباتها من الآخرين، وكل هذا ذبيح من صيق الأحق المتعرض مع التاريخ (anachronistic)» إن هذا الوصف، أي «تفقدان الارتباط بالواقع» يبدو وكأنه «كتانوج» جاهر عند هركابي، فقد ذكر في طلي نقده للشخصية العربية أشبه من هذا القبيل، ولكن الطريف هذه مرة أنه لا يكتفي بانتقاد الشطميّة الإسرائيلية وإنما يرى أن الشخصية العربية لا يمكنها أن سمحت في هذه الذاتية الممادية للتاريخ، ويقول: «إن العوامل الموضوعية التي يعبر

عنها الأعداد الهائلة من العرب واتساع أراضهم قد أضلّتهم من الاصطرار للجوء للعناصر الذاتية لضمان النجاح، بكل ما يتضمن هذا من تشويه للواقع... إلى الاتجاه العربي يسهو دائماً نحو التمثيل الترمي للعناصر الموضوعية التي تضمن بحاحهم، وهذه الأقول تفصلها معاناة شائعة مما قاله مما هي أواخر السبعينات، لقد تغير إدراك حبيب الشخصية «القومية» العربية مع تغير موارد القوى.

هذا الانغماس في الذاتية يعبّر عن نفسه - من منظور مركابي - في اتجاه انتحاري بين الإسرائيليين والقضية التي يواجههم ليست أن دولتهم ستتحول إلى دولة «أبارتهيد» (تفرقة لونية) وإنما القضية هي أنّ «ن يكون» إذا ما استمررت متخذهين في الأسطورة الخاصة، ويصير مركابي مثلاً مشابهاً وهو ما حدث لليهود إثر التمرد اليهودي الثاني ضد الرومان (١٢٥ - ١٣٢ ميلادية). فاعضاء هذا التمرد دخلوا الحرب قدسهم حمى مشيحية ترى أن نهاية الأيم (أو التاريخ) وشيكة وقد أعلن بعض الحاحات أن باركوجيا رعيم التمرد هو اماشيح (المسيح المخلص اليهودي الموهود). وبدون حساب موازين القوى أو ممرعة مدى قوة الرومان، أعز باركوجيا وأبباعه التمرد على روما، فتم المصء عليهم وعلى ثورتهم وعلى البقية الباقية من الوجود اليهودي اهزىل في فلسطين، ويسمى مركابي عرص الذاتية الذي يؤدي إلى الانتحار «أعراض باركوجيا»^(٢٨)، وهو ينصح الإسرائيليين بتميير هذا الجانب من شخصيتهم القومية.

ولنلاحظ أن سمة قومية مثل «الاتجاه الانتحاري» كانت تستخدم في الماضي لتهنيدنا، والآن يبين واحد من كبار المفكرين الإسرائيليين أنها في الواقع نقطة قصور، مما يبين أنها سمة

محايدة واعتقد أن ما يسميه «الاتجاه الانتعاري» هو ما أسميه أنا «الاتجاه النعامي»، واعتمد أيضاً أن «الصورة التي استخدمتها أكثر دقة لأنها ليست متطرفة ولأنها مرتبطة بصور إدراكية أخرى مثل صور الدجاج والنعام ولصقور، أن الخريطة الإدراكية الصهيونية قد دخلت عليها تسميات كثيرة نتيجة للحوار المملع

ويمد هذه محاولة لرصد امتجاهات المستوطنين الصهاينة للانتفاضة المباركة، وهي محاولة ترمي إلى تجاوز الثغرات المعارضة التي تسم النموذج الإدراكي العربي (المادي البسيط) وتحاول أن تطرح بدلاً من ذلك نموذجاً أكثر تركيبياً لأنه يسميه الإنسان/ الإنسان مرة أخرى ككائن حي، ظاهره غير باطنه، قوله غير فعله، وعيه غير لادعاه، قصده غير ملوكه. هذا لا يعني الانفصال الكامل للأوجد عن الآخر فالظاهر يعبر عن جزء من الباطن، والقوى يؤثر في العمل ويتأثر به، والوعي يتداخل مع اللاوعي، والقصد والسلوك يتفقان ويختلفان حسب الظروف والعوامل.

وهذا النموذج الإدراكي المركب المقترح هو وحده الذي يصح كنقطة بدء لرصد سلوك النعوى، ولعل مراكز البحوث العربية تتعص عنها التبسيطات المادية الإدراكية التي زرعت في قلوبنا، لهرمها وشوشت رؤيتنا لأنفسنا وللآخر

هوامش

الفصل السادس

- (١) يانكيل اسكيد، الجيوساتليم بوست، ٢٥ يناير ١٩٩٨م.
- (٢) الجيوساتليم بوست، ٨ فبراير ١٩٨٨م.
- (٣) الجيوساتليم بوست، ٨ فبراير ١٩٨٨م.
- (٤) الهيرالد تريبون، ٦ يناير ١٩٨٨م.
- (٥) الوطن، ٤ أبريل ١٩٨٨م.
- (٦) الوطن، ٤ أبريل ١٩٨٨م.
- (٧) الجيوساتليم بوست، العدد المولي، ٢٠ فبراير ١٩٨٨.
- (٨) لمبة الحبل بين معسكر رمزلين وسهامبيها، الشرق الأوسط، ١٣ يوليو ١٩٨٨م.
- (٩) الجيوساتليم بوست، ٦ فبراير ١٩٨٨م.
- (١٠) النيويورك تايمز، ٢١ يناير ١٩٨٨م.
- (١١) ملحق الجمعة، ١٨ ديسمبر ١٩٨٧م.
- (١٢) تايمز، ٣ يناير ١٩٨٨م.
- (١٣) النيويورك تايمز، ٢ أبريل ١٩٨٨.
- (١٤) تايمز، ٤ يناير ١٩٨٨.
- (١٥) النيويورك تايمز، ٢ أبريل ١٩٨٨.

- (١٦) هالزس، ٢٦ يناير ١٩٨٨.
- (١٧) القيس، ١٠ مايو ١٩٨٨م.
- (١٨) حفاشوت، ١٠ يناير ١٩٨٨م.
- (١٩) الوطن، ٢٤ أبريل ١٩٨٨م.
- (٢٠) القيس، ٢٢ أبريل ١٩٨٨م.
- (٢١) نايم، ٤ أبريل ١٩٨٨م.
- (٢٢) عبد المظلم حماد، ومحمد الحلوي، الأهرام، ٢ فبراير ١٩٨٨م.
- (٢٣) نيوزويك 1٥ فبراير ١٩٨٨م.
- (٢٤) أبراهام رايموفيتش، الجيوسايلم بوست، ٢٠ يناير ١٩٨٨م.
- (٢٥) الجيوسايلم بوست، ٢ فبراير ١٩٨٨م.
- (٢٦) الجيوسايلم بوست، ١٩ فبراير ١٩٨٨م.
- (٢٧) الجيوسايلم بوست، ٢ فبراير ١٩٨٨م.
- (٢٨) الجيوسايلم بوست، ٤ أبريل ١٩٨٨م.

الفصل السابع

الاستجابة الإسرائيلية للانتفاضة الأقصى

الانطباع العام الذي يملئه لنا الإعلام العربي، ومع الأسف الإعلام المصري، أن الفلسطينيين شعب يقاتل لأنه من هوة الضال الذي لا يرجى من ورائه فائدة، ويصحي بنصه لأنه يستندب الألع، شعب يذهب معتلوه يومياً يحملون أواني الدم العالي ليمنكبوه بشكل آلي ومعظم عدد آلهة الانتقام الصهيونية الوثنية، فهو شعب دخل في طريق العذاب المندود مما يجعل الجهاد والتصحية أموراً لا طائل من ورائها وقد استخدمت الصهيونية والإعلام المصري لفظ «الإرهاب» للإشارة لأعمال «المسومة» ولفظ «الانتحار» للإشارة إلى عمليات «الاستشهاد» وتبنت بعض وسائل الإعلام، فضلاً عن معظم النخب الحاكمة، مذهب المصلحين وهي هذا الإطار الإنراكي لم بعد المضحية هي «تحرير لأرض السلبية»، أو «استعادة الحقوق الصائغة»، أو «التصدي للمدو وهريمته»، أو «دعم الانتفاضة سياسياً ومالياً وعسكرياً وعدم الاكتفاء بالدعم النقلي الترتيب» أو «الضغط من أجل تحويل المكاسب الميدانية و العسكرية للانتفاضة إلى مكاسب سياسية»، أو «رد لاعتبار الأمة العربية واستعادة كرامتها». بدلاً من هذا كله، تصبح القضية تصبح اللبس ورفض المعاداة من الشعب

الفلسطيني»، وإيقاف العنف»، وهي رواية أخرى «الإرهاب»، ووقف العمليات الانتحارية (وليس الاستشهادية)، بل والعودة إلى سائدة «المفاوضات». وبالتنازل عن حق العودة حقناً للسماء» (فلاذهب أبث وريك فسقاتلا.. إنا ها هنا هاعدون). ونحن لا ندري هل هذا الموقف الإعلامي المتحاذل هو نتيجة خريطة إدراكية إسرائيلية التي تجعل البعض غير قادرين على رصد أي شيء سوى مؤشرات الهيمنة أم أنه يتم بتوجيه من بعض الحكومات العربية التي لا تكف عن الحديث عن قوة العدو وعن حيل السلام بأعبار «خيالاً استراتيجياً» والتي يهملها توليد خريطة إدراكية أنهزمية داخل العقل العربي عن طريق إخفاء حجم الانتصارات الفلسطينية على العدو.

ولكننا لو قرأنا رصد الصحافة الإسرائيلية لأحداث الانتفاضة وأثرها على الوجدان الإسرائيلي وإبرازه للواقع فوجدنا صورة معبرة تماماً، تشير من إدراكنا تماماً لأبعاد انتفاضة الأقصى. وقد حاولت أن أجد أيّاً من التطوير الأربعة الإدراكية السابقة التي ذكرتها في الفصل السادس، فطبيعة انتفاضة الأقصى تختلف عن انتفاضة ١٩٨٧ وحتى يعرف ماذا حدث في استوطن الصهيوني بعد شفاضة الأقصى وماذا حدث للخريطة الإدراكية الصهيونية فلأحاول ابتداءً أن أدرس صورة للمستوطنين للصهاينة قبل اندلاعها التي ذكرتها في الفصل السابع، استناداً للصحافة الإسرائيلية، بصور المستوطنون الصهاينة، خلال السبع سنوات السبعين (ما بين توقيع اتفاقية أوسلو واندلاع انتفاضة الأقصى) أنهم مستعدون من إحكام هيمنتهم على الشعب الفلسطيني وعلى الأرض الفلسطينية من خلال سلطة فلسطينية لا سلطة لها، معيدة السيادة تملأ، سلطة يمكن إفسادها عن طريق رشونها،

سلطة سيادية تقوم بإنماء الحياة السياسية وتحكم بشكل مطلق
هتُمش الجماهير، مما يؤدي إلى صعود الإحساس القومي والديني
لنبيها وتحول بالتالي إلى مجرد وحدات اقتصادية إنتاجية
استهلاكية تنبئ رؤية اقتصادية محصنة، ومن ثم تنسى الكرامة
والوطن وتركز بدلاً من ذلك على تحسين مستوى المعيشة، وبالتالي
يصبح من الممكن رشوتها هي الأخرى (وهذه هي رؤية بيرس لما
سماء الشرق الأوسط الجديد) وتُوح العرب والصهاينة للسلطة
والجماهير الفلسطينية بأشياء وردية مثل تحول فلسطين/ إسرائيل
(والأردن) إلى سلطنة وهوبج كسويج الشرق الأوسط، بند بلا
تاريخ، ومحدود السكان، وتكون إنتاجيته مرتفعة إلى أقصى حد
ومستوى المعيشة فيه مرتفع إلى درجة تدبير رأس الاقتصاد
الاستهلاكي وكل من تسول له نفسه أن يقض ضد هذه الخريطة
الإبراهيمية، تقوم قوات الأمن التابعة للسلطة بترويضه أو القضاء
عليه إلى أقصى الأمر أي أن علاقة انكيا الصهيوني بالسلطة
الفلسطينية - حسب تصور الصهاينة لاتعاقبة أو سلاو - هي علاقة
كولونيالية في جوهرها، تلعب فيها الدولة الصهيونية دور الرامي
الإمبريالي الذي يوظف الدولة المستعمرة لصالحه إما مباشرة من
خلال هواته العسكرية أو بشكل غير مباشر من خلال النخبة
المحلية الحاكمة، وهكذا كان من المفترض في السلطة الفلسطينية
أن تلعب دور الدولة/ السلطة الوظيفية (الملوكية) المثبتة الصلة
باجماهير الفلسطينية، التي تصطلع بوظيفة سحقير اجماهير
لصالح الرامي الإمبريالي، نظير بعض المكاسب التي تحققها
لنفسها

وقد استند المستوطنون الصهاينة لهذه الخريطة الإدراكية
للبيده التي كان من المفترض أن تجعلهم قادرين على الاستمرار

في زيادة المستوطنات وهي تسميتها وتحسينها والاستمتاع بتجربة العيش دون أن يدفعوا أي ثمن وقد وصفت الطمأنينة الرائعة التي تمتع بها المستوطنون إلى درجة أن تكون الخريطة السياحية التي أصدرها المجلس الإقليمي لمستوطنات غور الأردن قبس اندلاع الانتفاضة ترجمة مباشرة للخريطة الإدراكية الصهيونية فهي لا يظهر عليها أي قرية أو مدن عربية، كأنها قد أزيلت، أو كأنها لم توجد أصلاً. ولذا فإن غور الأردن - حسب هذه الخريطة الوهمية هو أكثر الأماكن أمناً على وجه الأرض. حقاً إنها أرض بلا شعب أو، على أسوأ تقدير، أرض شعبها مكبل بالأغلال يمكن توطئته وتسخيره.

ومما دعم هذا الإدراك أنه، خلال العام، الأخير من ولاية نتنياهو وطوال فترة ولاية براك، تكثفت عملية توسيع المستوطنات، متضاعفت مساحة المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال لفترة الممتدة من عام ١٩٩٣ (توقيع اتفاقية أوسلو) وحتى عام ٢٠٠٠

وكان انتخاب براك بالنسبة للكثيرين يمثل دحولاً إلى الشوط الأخير في السباق نحو إنهاء الصراع التاريخي وقد ترافق هذا مع مناخ اقتصادي متفائل يعود أساساً إلى ازدهار شركات التكنولوجيا المتقدمة (هاي تك) كل هذا منح المجتمع الإسرائيلي، المرفق بعمل أعوام كثيرة من الصراع أملاً بمستقبل جديد تستطيع إسرائيل أن تصبح فيه وحدة من الدول العربية التكنولوجية^(١) («كثيرون وعاجزون ويرقصون التلم»).

كانت الحياة بالنسبة للمستوطنين الصهاينة حياة وريفة، فكان سكان مستوطنات غور الأردن [على سبيل امثال] معتمدين تماماً بأنهم على وشك دخول مرحلة من الانتماء طينأت بداعه المنطقة

حملة لجذب مستوطنين جدد. واشترك في الحملة ممن إسرائيلي دعا المستوطنين إلى الانتقال إلى الوادي ليحققوا أحلامهم. فتنقل إلى بيت خاص، هي مستوطنة مضمرة، ولتتمتع بالهدوء والاستقلال في أجمل بقعة في وادي غور الأردن^(٢)

وبدأت مستوطنة يافيت حملة وصفت بأنها ناجحة في جتذاب عشرات الأسر التي عبرت عن رغبتها في الاستيطان (وكانت من بينهم أسرة/ روج من المساحات). وقد تَكَثرت بعض الأسر في إقامة مركز كلي ومررعة بيئية (لا تعتمد على أي معاد صناعي) وكانت هناك امرأة متخصصة في الروحانيات قررت أن تعيش بعمرنها في مبنى مهجور لتفيس درجة الروحانية داخلها، وتوصلت إلى أن العلاقة الكامنة فيها ستكفيها لمدة عام على الأقل؛ (ولا أدري ما هي أدوات تقياس التي استخدمتها)

ثم جاءت ثماني أسر وسجن أفرادها أنفسهم في حي «بيت بيتك بنفسك» وكان انطباع أبناء مؤسسي المستوطنة إيجابياً إلى درجة أنهم قرروا العودة إليها بعد أداء لخدمة العسكرية وتم بيع ١٢٠ منزلاً بعد حملة التسويق. وهكذا عادت الحياة مرة أخرى إلى مستوطنة يافيت، وأصبحت المنطقة المحيطة بالمحطة للعب للأطفال مليئة بالحياة. وبدأت الحصانة تعمل مرة أخرى، وعادت الليالي الاجتماعية من جديد. وغمزت المصاعدة الجميع، خاصة كبار السن وكانت الحياة الوردية تسير على ما يرام بشكل روتيني، فكانت آلاف السيارات تستخدم الطريق العام رقم ٩٠ كل يوم، وكانت هناك محطة بنزين تقع فيها السيارات، ومادة ما كان هاتئذ السيارات يطلبون «ساندوتش» أي أن كل شيء كان على ما يرام. إلى الخريطة الإدراكية الصهيونية التي ضيّب العرب هدمت مرة أخرى على العقل لصهيوني بعد أن كانت قد اهترت بفعل انتماسة

١٩٨٧ والحوار المسلح الذي دار بين المستوطنين الصهاينة والمقاومة
المسيحية بكل فصائلها

وقد أشرنا في فصل سابق إلى نمط التطرف والاعتدال
للمستوطنين، ويبدو أن هذا النمط يتبدى مرة أخرى في انتفاضة
الأقصى فحين اندلعت الانتفاضة، اهتمت الخريطة الإدراكية
للمستوطنين، وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث لإسرائيل فبدى دميد
من حوله، ولذا بحث المستوطنون عن مخرج عسكري أممي سريع
حاسم، فانتخبوا شارون (البلدوزي) ليحل محل باراك الضعيف
وتتمشت أمالهم مرة أخرى لعنه يميز لواقع الذي يتحدى
خريزتهم الإدراكية فشارون صاحب فكر صهيوني أمطوري توسعي
إرهابي وقد طرح شارون خطة لمدة يوم وخطة «أورانيم جهنم»،
وطرح شعار «دعوا الحيش تقتصر» واستخدمت كل لأسلحه في
المرماة العسكرية الصهيونية، ووصل الإرهاب الصهيوني إلى
الذروة (أو الهوة)، ودخل مرحلته الشارونية، وهذا ما حدث في
جنوب إفريقيا من قبل، فمع تصاعد مقاومة السكان الأصليين
للمستوطنين البيض لجأ هؤلاء لليطش ولصرب المقاومة بيد من
حنيد على انطريقة شارونية. ولكن المقاومة استمرت بل
وتصاعدت رغم بطش النظام العنصري، إلى أن اكتشف
المستوطنون البيض عدم جدوى الإرهاب التوسعي، وانتهى الأمر
بسقوط النظام العنصري أي أن تصرف المستوطنين هو مؤشر على
أن الرسائل المسلحة التي يرسلها لسكان الأصليين بدأت تصل
إليهم، وأن التصرف والشراسة ليسا سوى مرحلة قبل الأخيرة التي
تسبق تحطم الأسطورة وتقويض الخريطة الإدراكية الصهيونية
العنصرية والرهوبخ للأمر الواقع .

ومما لا شك فيه أن شارون أشبع شهوة المستوطنين للانتقام.

إلا أنه أحقق تماماً في تحقيق الأمن لهم رغم تصاعد البطش الصهيوني وشراسته وبنو دحج شارون هي تنفيذ محطته لصرب الانتفاضة لكنّس لخريطة الإدراكية الصهيونية وبعث الحياة فيها، لكن مشله يعني في واقع الأمر استمرار هذا الوهم، مما يعني سقوط الحلم الصهيوني والخريطة الإدراكية الصهيونية (وهل يمكن للجيوب للاستيطانية أن تعيش دون حلم أو وهم أو أساطير؟) لقد أبدى الفلسطينيون سلاية ثم يوقعها الصهيونية. وهذا ما لاحظته الصحفي الإسرائيلي جلعون عيسيت ذلك إذ قال «يصعب بعض الشيء أن نحمّن كيف يمكن لريادة الرعب العسكري أن تؤثر في الفلسطينيين أكثر مما تفعل بن شارون أخفق تماماً في تحقيق أي أمن، وتحولت الانتفاضة إلى حرب استنزاف مستمرة»^(٢)

وكما سقطت الخريطة الإدراكية الصهيونية تحت وطأة الانتفاضة سقطت نظرية الأمن الإسرائيلي، ولتلك النظرية شي قامت على أساس حرمان الفلسطينيين من سلاح واستخدام أكبر قدر من القوة ضدهم لتفويضهم وتهميشهم من خلال تهشيمهم، ولكن الجهاد يستمر بالإمكانات المتاحة، ويتم إنتاج الأسلحة داخلياً بل وكثيراً ما يأتي من خلال مصادر إسرائيلية، كما أن جميع القوى والمصالح تشارك في الجهاد وتمارس العمل المسلح جنباً إلى جنب، ولا شك أن استمرار الانتفاضة أو حرب التحرير الفلسطينية هو وحده الكفيل بتغيير الخريطة الإدراكية الصهيونية فهي ستفرض على الصهاينة أن يتركوا أن فلسطين ليست «برلس إسرائيل» وأن للفلسطينيين وجوداً متجذراً في وطنهم إن استمرار الانتفاضة وهرها للمجتمع الإسرائيلي ولخريطته الإدراكية من جذوره هو الطريق الوحيد لتحرير الوطن، لأنه إذا توقف الجهاد وتوقفت المقاومة وحرب التحرير فإن الصهاينة سيحوصون مرة أخرى في

أحلامهم الاستيطانية ويظهرون المريد من التطرف واللاعقلانية
ويعودون للمريضة الإدراكية المصرية.

فقدان الإحساس بالأمن وفقدان الاتجاه.

يعود إلى رسالة الانتفاضة باعتبارها ظاهرة لا يمكن محوها
من الوجود (على خلاف ما وصف به شارون) تصل للمستوطنين
الصهاينة وتقوس من حريقتهم الإدراكية وكما نعلم هذا الجانب
من أثر الانتفاضة على التجمع الصهيوني وعلى الخريطة
الإدراكية ليهودية عليا أن نتجاوز تصريحات شارون الشيطانية
والعرات الجهنمية التي تشتت العائرات الصهيونية، ولنداعج
الدموية التي كندرها آلة لصنع الصهيونية ضد الفلسطينيين،
ولحملات الإرهابية التي تقوم بها القوات المسلحة الصهيونية،
والأكاذيب المصقوفة التي تروج لها آلة الإعلام الصهيونية،
فلنتجاوز كل هذا وصولاً إلى استجابة المستوطن الصهيوني لما
يحدث من حوله فالمستوطنون يطالعون الصحف الإسرائيلية التي
تستخدم كثيراً من الصور المجازية والعبارات الموحرة لدالة التي
تنقل لهم الحقيقة كاملة. فالانتفاضة، حسبما جاء في الصحف
الإسرائيلية، ليست مجرد هيئة بل هي «حرب استتراق» أعرفت
إسرائيل في «لجة الدماء»^(١) وأدخلتها في «دائرة دموية»^(٢). إنها
«رقصة الموت» ومباراة «بيج بونج مرعبة»^(٣) تسببت في ضياع
«أنهار الدم»^(٤) كما أدت إلى انقراض هي مياه راكمه، وإلى العرق
هي «المستقع الذي غرقت فيه فواتنا بدءاً من الثمانينات» (في
مقدمة «المستقع للساني) وتشير الصحف الإسرائيلية
للعم الأول من الانتفاضة بأنه «مضرج بالدماء»^(٥) وأنه
«الأسوأ في تاريخ إسرائيل في كل ما يتعلق بمواجهة الإرهاب»^(٦).

وقد وصف أحد الكتاب الموقف بهذه العبارة البائسة «صغيرة هي المسافة بين الخوف والدعر، والجمهور الإسرائيلي يعيش بين هذين» وذلك^(١) وأين هذا من الخريطة الإدراكية الصهيونية قبل الانتفاضة ١٩٨٤.

والدعر هو الذي دفع أحد جنود الاحتياط لأن يكتب رسالة مفتوحة (بشرت على موقع صحيفة يديعوت أحرونيوت لتأجيلها «صحف الإسرائيلية الأخرى»). قال فيها بكل صراحة إنه «خائف من الموت بلا سبب كآبله، على الرمال الفتنة المسماة قطاع غزة»^(١١)... «أبله عائلة تكلي...».

ويستودق نفس الإحساس بالدعر البكت الشائنة الآن في إسرائيل إذ يغول مستوطنون تصديقه: «سأحضر إلى منزلك بالأتوبيس وأمنيتي أن أبح هي ذلك»^(١٢)، فأبسط الأمور مثل رحلة الأتوبيس أصبحت مسألة معقوفة بالمخاطر وبعد أن تحولت المستوطنات إلى مسرح للخوف و«دعر»، كتب يهودا جولان ساخراً «يمارس سكان مستوطنة جيتو تسلية جديدة، مشاركة إطلاق النار... يستعملون كن صماء للمرضى اليومي الحثاني الخاص بالصاحبة»^(١٣).

والصورة العامة في التجمع الصهيوني قائمة لأقصى حد. ففي مقال لهغال موسكو تحدث عن الصمت الذي يلف المدينة ولا توجد سيارات، وحتى المشاة القلائل يخفصون أصواتهم. كل التنمية كواذي الأشياء^(١٤).

وقد ظهر في إسرائيل ما يسمى «حضارة البقاء في المنزل»، وهي أن الناس يفضلون البقاء في المنزل ولا يذهبون إلى المطاعم إلا نادراً. ولذلك فمعظم المطاعم فتحت خدمة فيك أواي وحتى حينما يذهبون إلى مطعم لا يجلسون في الموائد التي توجد في

وسط المطعم بل يفصلون الجيوس وراء العمود وتبدأ علامات
الراحة تظهر عليهم كما لو كانوا يحاولون كبت أية محاولة
بدخلهم ولكن إحدى البالونات تمجر بخوي، هيشتض كل من في
المطعم هلعاً ويتذكر لجميع أنهم ليسوا في مطعم عادي ولا هي
بلد عادي^(١٥) وهكذا، في لحظة دالة، تعظم العوصاء واجهة
الهدوء

وقد أكد يوثيل ماركوس أهمية الخريطة الإدراكية حين قال:
«الحقيقة المرة أننا لم نحج في تصمية الإرهاب ودحره بالقوة من
إلى المستطيين رجعوا من خلال أهملهم لإرهابية أجواء من
الخوف وانزعج في الوقت الذي لم تنجح فيه إسرائيل في زرع
خوف مشابه في أوساطهم»^(١٦).

لكل هذا، ليس من العريب أن أحد استطلاعات الرأي
وصف الوضع السائد في إسرائيل بأنه يسود «ارتباك شديد، وحيرة
تردد قاطعاً، قد جمهور يركض مدعوراً من هب، بي هناك، وهو
على استعداد للإعسالك بكل قشة تقع في طريقه من أجل محاولة
التخلص من هذا الوضع، حتى لو كان ذلك بقول انشيء وتقيعه
فهو يريد هذا وذلك بنص القدر.. العصل من طرف واحد أو
الموصل إلى اتقاق. الحوار مع القيادة الفلسطينية أو تدميرها
انتحاور مع العريب في انناطى للمحنة أو طريقهم إلى الدول
العربية المجاورة» وهذا لتردد والتسديد شامد على أن الحريصة
الإدراكية لصهيونية قد «هست نصف وينأت قأكل ولم نعد تصيح
للتعامل مع نواقع الامتقاضي الجديد.

وقد ظهر إحساس عميق بالقصرية، فقد أكد يوثيل ماركوس
أن شارون «أدخل الإسرائيليين في دائرة دموية مفرعة لا يمكن
التحروج منها.. الجمهور متعب ومزق ومتشائم طاقعة إسرائيل

ثم تنويعها. ورغم أن إسرائيل عضو في نادي أقوى خمسة جيوش في العالم وفي نادي الدول السوية الثماني فقد بلغت انقطة التي لا يمكن لها أن تصير فيها إلى حل عسكري مع الفلسطينيين^(١٧). كما أن الجيش، كما جاء في مواريف^(١٨)، تتآكل قوته بشكل منظم بعد أن عرق في مستتبع الانتفاضة وقد وصل الأمر إلى درجة أن المطلوب هو مجدي في كل مكان. في كل موقف سيارات، في كل محطة اتوبيسات، وسبعة منهم في كل مسترق طريق، ولكل هذا، ذكر أليكس فيشمان في مقال له أن سياسة الأمن الإسرائيلية تحتضر، مشيراً إلى أن لوضع الأمن لدى تعيشه إسرائيل يشبه (خاصةً أمنياً) كرم المطبخ الأمني باتخاذ قرارات تكسر دامة ردة الفعل التي تسحب الطرفين في عناق الموت نحو الهاوية

لقد وصل العقل الإسرائيلي مرة أخرى إلى حالة «بين بريرا»، وهي عبارة تعني «لا خيار». وكما قال يفتال موسكو الذي سبق الإشارة إليه «ليس هناك ملأ في هذه البلاد، لأعصاب متوترة، ووصلت لدى البعض إلى حد الانفجار، ورغم ذلك فقد سيطرت سلبية غريبة على الجميع الناس ينظرون إلى حجم الدم اليومي كضياء وفير، تماماً مثلما ينظر بيئسون في بجلادش إلى انميصادات». وكان الانتفاضة إحدى قوانين الطبيعة التي لا يمكن التصدي لها

وعبرة «لا خيار» كانت تعني في الماضي أن المستوطنين الصهيونيين معكوم عليه بالدخول في حروب مستمرة، الواحدة تلو الأخرى لمدة طويلة، ولكن كان الاعتماد الصهيوني الراسخ أن ثمة مخرجاً في نهاية النفق المظلم من خلال ما يسميه المكر الأمني الإسرائيلي «الجسر الحديدي»، أي أن يبني المستوطنون جداراً



حديثاً حول أنفسهم لا يمكن للعرب اختراعه، مما يضطرهم
للرصوح للأمر الواقع والافتناع بأنه لا يمكن هزيمة هؤلاء
الواحد من العرب

وثكر، بدلاً من الجدار الحديدي، ظهرت عبارة «لعجز
الأملي» فهي حبة من «إيس بوبرا» دون أمل أو كما قال أحد
الكتاب «إن المجتمع الإسرائيلي يشمر بالناس مثل قطيع بلا راع،
محاط بدباب مجنونة»^(١٩). كما قال آخر «ليلة سعيدة ايها
الياس... والكاتب تكتلف إسرائيل»^(٢٠) ولدا، عين هارتمس تطرح
شعاراً جديداً للصهاينة: «دعونا نأكل ونشرب ونعصوف نموت
مدا»^(٢١)

ويمكننا الآن أن تطرح سؤالاً ما هو الأثر النفسي لهذا
الإحساس بعدم الأمر؟ كفاد الباحثون الإسرائيليون مؤوية لبحث،
فقد جاء في جريدة هارتمس ٢٢ أن عدد الرقائين على عيادات
الأطباء قد زاد بشكل كبير في الآونة الأخيرة رغم أنهم ليسوا
مرضى من الناحية العضوية وإنما يعلنون عن صعوبات وتوتر على
خلفية الأحداث الأخيرة [أي الانتفاضة] وقد نشرت جريدة
معاريف^(٢٢) أن وزارة الصحة الإسرائيلية فتحت مراكز استعلامات
هاتفية يستطلع المواطنون عبرها تلقي مساعدات نفسية. كما بينت
يليعوت أحريوت^(٢٣) أن شركات الأدوية أقادت بأن هناك ارتفاعاً
بنسبة ٥٠٪ في استهلاك المضخات والمسكنات.

وقد نشرت كل من هارتمس ويشيم^(٢٤) عن ظاهرة يسميها
علماء لنفس ظاهرة «العجز المكتسب» ولشرح هذه الظاهرة
تقول الصعص إنه أجريت تجربة عُرض أثناءها كلبين لصدمات
كهربائية وأعطى واحد منهما لفرصة للفرار، أما الآخر فقد
حُرم منها، فتكتسب الأول حساً سريعاً بتجنب الصدمات

الكهربائية من خلال القصر إلى الجهة الآمنة، أما الثاني فقد
كيف تماماً وتغيب الموقف بخموص، حتى أنه حينما أتتحت له
فرصة الهرب، في تجربة أخرى، لم يلتزمها فالعبر المكتسب هو
سلوك سلبى يشأ من الإدراك بأنه لا وسيلة لنجس آثار مؤلة،
ومن عدم اليقين بخصوص أي شيء، فهي حالة «لين بويرا»
بامتياز

وقد توصل العلماء إلى أن ظاهرة العبر المكتسب في
لجتماع الإسرائيلي تنطوي على أخطار كثيرة مثل الشلل أو التصلع
إلى حلول سحرية قد تجعل كل أشكال بضرية واحدة وهذا الاتجاه
الأخير أرض حصبة لتطور رغبة عارمة في ظهور مسيح دجال،
والامتداد لقيول من يقدم نفسه «كقائد قوي» يمكنه حل المشكلات
كافة (وهذا يعبر ظهور شارون الذي وعدهم بإعادة الأمور إلى
نصابها).

ومن أطراف المؤتمرات على حالة التدمير التي لتتأهب التجمع
الصهيوني أنه، مع تصاعد الانتفاضة، بدأت حالة الدعر قتل
لكلاب وانقطعت في المنازل الإسرائيلية، وبدأ فقد اقتضى الأمر
تقديم المساعدات لها (نماليوم). وقال أطباء بيطريون إن الكلاب تبدأ
في النباح وتصبح أكثر عدوانية وتربجف لا إرادياً أو تفقد لتحكم
في مشائها عندما تصل أصدااء ذوي إطلاق النار في الصمة
لعربية إلى مياي القدس

وقد ربي سايير، وهو طبيب بيطري في القدس، اليوم فقط
عالجت كلباً كان قد امتنع عن لطعم ويرفض مقادرة سربه، وقال
طبيب بيطري آخر إنه لم ير مثل هذا العدد من الكلاب المنطرية
منذ قام تمراق وأمطر تل أبيب بصواريخ إسكود خلال حرب
الخليج عام ١٩٩١ وقال طبيب ثالث إن كلبه هو شعصياً يرفض

انحروج من المنزل، إلى الناس مصابة بالتوتر ولا يدرون ماذا يفعلون، الناس متوترة وكذلك حيواناتها»^(٢٦).

الانتفاف حول الانتفاف-

ويتبدى لهرار الخريطة الإدراكية في أوجه أخرى كثيرة. هم المعروف أن الاستيطان هو جوهر الصهيونية وعمودها العقري. وكما قالت صحيفة *Israel's Business rena review* (٢٧) الإسرائيلية إن حركة الاستيطان توجد في قلب الصهيونية ولا يوجد صهيونية بدون استيطان. وقد ردّد بن جوريون نفس الفكرة بعد إعلان الدولة، وكان الصهاينة يطلقون على المستوطن اليهودي كلمة «حالوتس»، أي رائد، لأن تصورهم أن هذا المستوطن كان يأتي لأرض بكر عذراء فيستولي عليها ويظهرها من مكانها، ثم يحرثها ويروّعها ويحرسها بنفسه، ولذا فهو يمسك بالبندقية بيد و الحراث باليد الأخرى.

ولكن، مع تصاعد المقاومة واهتزاز الخريطة الإدراكية، تميد قصائد كثيرة من العدو الصهيوني حمائليتها بطصوص الاستيطان هي الصفة القريبة وعزة هي انتفاضة ١٩٨٧، انطلق السخط على الاستيطان المكيف الهواء من عقوله، فوصف رابين المستوطنين بأنهم يشكلون عبئاً على المؤسسة العسكرية^(٢٨). وقال أحدهم إن الاستيطان هو «المتبور اندى لا يُخلق» وكتب يومي سريد مقالاً وصف فيه استوطنات بأنها تقوب في الرأس وأنها «عيب»^(٢٩) أم المهمة الدفاعية القتالية وهي مهمة المستوطنات في المحل الأول في الأيديولوجية الصهيونية الكلاسيكية - فلا وجود لها، ومساهمة مستوطنات الضفة هي لدفع عن أمن إسرائيل «يشبه ما تفعله الجدة انخلقة»، أي البكاء والصياح، والأبراج في مستوطنات جوش إيمونيم «هي برج طائر» مهتر تستطيع إصبع صغيرة أن تطيح به»

وجود ٥٠ - ٦٠ ألف يهودي (عدد المستوطنين الصهاينة آنذاك) بين مليون ونصف مليون فلسطيني في الضفة والقطاع سيثير مشاكل عويصة للجيش، خاصة في حالة الحرب، كما حدث بالنسبة لمستوطنات الحولان في السبعينات؛ إن هؤلاء المستوطنين لهموا مصدر نفع للجيش الذي يصطلع بكل أو معظم الوظائف التي كان يضطلع بها المستوطنون قبل عام ١٩٤٨

ومع توقيع اتفاقية أوسلو، عادت الخريطة الإدراكية إلى سابق عهدها ليهيوني وثراجع المسخط على الاستيطان، واستمرت المؤسسة الصهيونية في التهام الأرض وفي تشييد المستوطنات، وصممت معظم الأصوات المعارضة (وهذا تجلّ أحمر ليمط التطرف ولاعتدال الاستيطاني). ولكن، مع اندلاع انتفاضة الأقصى والاستقلال، عاد الحوار المسلح وعاد معه الهجوم على المستوطنات في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ مرة أخرى من قبل المستوطنين الصهاينة في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧. فبدأت الصحف الإسرائيلية تتحدث عن الاستيطان باعتباره «ورماً»^(٢٠)، وصرحاً بأن يأكل جسد المجتمع الإسرائيلي» (من خطاب سبير جيو ياهي، المدير العام لمركز المعلومات لبيطة، الذي صدر عليه حكم بالسجن إثر رفضه أداء الخدمة الاحتياطية بالجيش. وقد أرمس الخطاب بتاريخ ١٩/٣/٢٠٠٢). كما بدأت الصحف تتحدث عن استوطنات باعتبارها «مصيصة ابوت»^(٢١)، و«مستنماً للإرهاب»^(٢٢).

وقد وصف أهارون معيد تصاعد المسخط على الاستيطان في لصفة الفريية والقطاع بهذه الكلمات، «منذ أن نوات هذه العميت [الصهاينة] التي توقع «ضحايا بالعشرات، لم يمض يوم ولا ساعة لم توجه فيها إدانات وانتقادات للمستوطنين، من على كل منصة ومن كل ميكروفون. دم القتل في رقبته كآب المقالات هي

الصحف لا يذنبون أية فرصة للتشهير بهم والبصق في وجوههم حتى حين يكتبون عن آخر فيلم شاهدوه أو عن معرض رسم والمحلون الاقتصاديون أيضاً يعززون كل المشاكل التي أتت بنا (تخميض العائنة ارتفاع سعر الدولار، الفقر، البطالة، وغير ذلك) إلى المستوطنات التي تمص دم الدولة» (٢٣).

وكما قال سيرجيو ياهي في خطابه الذي أسلفنا الإشارة إليه: المستوطنات «حوّلت المجتمع الإسرائيلي في الـ ٥٢ سنة الماضية إلى مطعنة حطّره . وجيش الدشاع لإسرائيلي ليس سوى جناح مسلح للحركة المستوطنات . موجود لضمان الاستثمار في هب وسرقة الأراضي الفلسطينية».

أما عكسها نثار ويشير إلى المستوطنين بأنهم «أقلية صغيرة لا تلعب أي دور حتى في محاولة تحقيق التوازن الديموكرافي مع العرب. فعند المستوطنين، بالرغم من كل لامتيازات التي يحصلون عليها، مساوي (من حيث الحجم) نسبة الفكاثر عند الفلسطينيين خلال عامين» (٢٤). كما أنهم مجرد مرتفعة جاؤوا لتحقيق مستوى معيشي مرتفع هائل من ٣٠ ألف عائلة من أصل نحو مائة ألف عائلة في المستوطنات استقروا فيها لدوافع أيديولوجية». ويصف غي ياحور المستوطنين في عزلة بأنهم «أقلية هامشية ثلاثة آلاف شخص يقعون بين مليوني فلسطيني ويحتجرون نحو ثلث مساحة القطاع» (٢٥) أو كما قال أحد الكتاب ملانة يجب علينا أن ندفع كل هذا المال لحماية بضع عائلات إسرائيلية أسست بيوتها وحقولها وسط الأراضي الفلسطينية» (٢٦).

وبعد تهميش المستوطنات وبعد إظهار تكلفتها الاقتصادية، يتحدثون في الصحف الإسرائيلية عن ضرورة فكها وقد جاء في نفس لجرودة (٢٧) أن من يريد أن يعيش في دولة ديمقراطية

يهودية عنه أن يذهب إلى أن الاستحباب من الأراضي المحتلة (بكتافتها السكانية العربية) أمر حتمي، ويخلص المقال إلى التأكيد بأن الاحتلال لا يقوض مقبرة دولة إسرائيل على حماية نفسها وحسب، ولا موقفها الأخلاقي أمام العالم فحط، وإنما يقسم المجتمع الإسرائيلي نفسه إلى قسمين.

وقد وجه براهام يهوشع (٢٨) بدءاً للمستوطنين بأن يتحلوا من عقادهم وأن يعودوا إلى دولة إسرائيل «باهتبار أن الصفة انصرية وانقطاع هي أرض فلسطينية وقد كتب أحدهم خطأً موجهاً للمستوطنين بقول فيه «لقد ذهبتم ليعيشوا في الأرض المحتلة إن عور الأردن أرض محتلة، ولأن ذكائكم ابتاع، وبكلكم أنتم الذين سيبتمروا لأنفسكم إن كنتم تريدون الأمن فانهجروا إلى إسرائيل أنتم تعيشون الآن في الخارج. يجب أن تعرفوا أنكم مهاجرون، تماماً مثل الإسرائيليين الذين يعيشون في نيويورك» (٢٩). إن فكرة «إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات» أو حتى «إسرائيل من البحر إلى النهر» وهي مكون أساسية في الخريطة الإدراكية الصهيونية، قد تلاشت تماماً

وقد أدى كل هذا إلى تقويض الروح المعنوية في المستوطنات وتطبيع إحدى المقالات لنانة التي نشرت صورة عن المستوطنات من «داخل» (٣٠). بدأ مقال يشكوى أحد المستوطنين بأن لجمهور في إسرائيل لا يعرف ماذا يحدث في المستوطنات؛ الإحصاءات الرسمية تقول إن ٥١ أسرة قد تركت عور الأردن منذ بداية العام، لكن الرقم أعلى من ذلك بكثير. كما أن الإحصاءات لا تتضمن للمستوطنين الذين يديرون حياتهم بالريموت كونترول (أي من بُعد) وهم أكثر، فهم ظاهرياً يعيشون في المستوطنات ولكنهم فعلياً يتصرفون معظم أوقاتهم خلف الخط الأحمر (أي فلسطين المحتلة

عام ١٩٤٨)، ثم انهموت الشكاوى. قال أحد المستوطنين: «لقد سرت عدوى الرحيل في الوادي، ولا يبدو أنه يوجد أي علاج. مستوطنة يافيت التي كانت تقطنها ٢٨ أسرة تركتها ثماني أسر ومستوطنة جلجال تركتها ٦ أسر من ٢٦ أسرة، أما ماسو فقد تركتها ٥ أسر من ٢٥ أسرة، وجيتيت تركتها ٨ من ١٢ أما مستوطنة شمعون فلم يبق منها سوى ست أسر»

وقد ظهر في إسرائيل، منذ منتصف الثمانينيات، مصطلح *dummy settlements* والتي يترجمها بعبارة «مستوطنات لأشباح». أي المستوطنات التي تُشيد ولا يقطنها سوى بضعة أسر ومن الواضح أن المستوطنات سررد شبيهة، فقد كانت هناك بعض الأسر المقيمة في مستوطنة يافيت، ولكن بعد مقتل زوهار شورجي، أحد سكان المستوطنة في ٢٠٠١/٨/٧ تركت زوجته وأولادها المستوطنة، ثم تبعهم آخرون. ولكن أموا صرية كانت حينها جرح موسى هوفتمان وزوجته بريجيت، فهما من مؤسسي المستوطنة وكانت لضرية من لقوة بحيث أن المستوطنين لا يجهون الحديث عن هذا الموضوع. ولكن حسبما سمع مراسل هآرتس من بعض المستوطنين حينما عادت بريجيت من إجازة في فرنسا، وجدت أن نحو في المستوطنة مختلف تماماً عما كانت تعرفه صدمها كل شيء فجأة التحول من أجل شورجي رحيل بعض المائلات التي ساعدتهم على التأقلم والاستقرار لبحر أنحيم على الجميع. حيث شعرت بريجيت هوفتمان أن أسلوب حياة الأسرة قد تساقط أمام عينيها ففرت الرحيل.

لقد ازدادت مستوطنات لأشباح شبيهة، وازدادت جيتوية، ولم يعد أحد يكثر في أن يقوم برحلة - ولين سرت هنا بعد الظلام من تجد إنساناً، نصف المنازل مظلمة، عدد كبير من الأطفال لم يعودوا

بعد الإجازة الصيفية، مكلل لعب الأطفال خالٍ تماماً كل شيء
توصفء، يقول صاحب أحد المطاعم: «انظر كم نحن مشغولون
الآن». ويشير ساخرًا إلى درج نفقود المارغ صوة مبالغ أنك
استهينا من تجديد المصمم قبل أن تتاح لنا فرصة أن ندوق العمل
[في أرض بلا شعب] كم الساعة لأرة الرابعة؟ إن جلست هذا
حتى الساعة، أي عدم أعلق المصمم، لن ترى أكثر من جندي أو
جنديين يأتون إلى مطعمهم [بدلاً من الأطفال وضحكاتهم تأتي
الجنود وأسلحتهم.. أليس هذا هو مصير كل المستوطنين الذين
صنعوا الأرض من أصحابها؟]

وقد جاء في صحيفة معاريف أنه في ٤٥ مستوطنة (من بين
١٤٤ مستوطنة) في مجموعة مستوطنات يشع، سجل عام ٢٠١١
عدد من المعاديين يعوق مجموع السكان الجدد والتكاثر الطبيعي
ويطبق نفس الوضع على المستوطنات القريبة من لخط الأخضر
وتحاول بيانات الحكومة الإسرائيلية التقليل من حدة الأزمة. حتى
أصبحت أرقام النزوحين عن المستوطنات من المحرمات لأن الكشف
عنها يؤدي إلى تدهور مستويات الإسرائيليين.

ومن أهم تيديات استمرار الخريطة الإدراكية الصهيونية وثقة
الصهيونية بالذات موقف مستوطني عام ١٩٤٨ من لطرق الانتصافية.
ومن المعروف أن المستوطنين الصهاينة ادعوا أن فلسطين أرض بلا
شعب وأنهم جاءوا لاكتشافها وإصلاحها، ولكنهم بدلاً من ذلك
كنشمو أن فلسطين أرض ليست عامرة بسكانها وحبيب، بل وإن
سكانها هؤلاء مصممون على مقاومتهم وعلى الانتعاص صيدهم المرة
تكو المرة وأخيراً على خوص الممارك العسكرية ضدهم

ويبدو أن صمعت الواقع على الإدراك الصهيوني اضطروهم
إلى تعديل خريطتهم الإدراكية، فبدلاً من شعار «أرض بلا شعب»

أصبح شعارهم «أرض للشعب يومئذ الاستيلاء عليها والاستيطان فيها دون رؤية أصحابها» ومن هنا كانت «لطريق الاتفاقية» وهي طرق تشعبها الدولة لصهيونية لربط المستوطنات بعضها ببعض بعيداً عن المناطق السكنية العربية.

والعائد الاقتصادي من هذه الطرق الاتفاقية ضعيف إن لم يكن متدنياً وقد كتبت الصحف الإسرائيلية من «لطريق الموسيقي» وهو طريق الثقافي شُهِد خصيصاً لعمل في إحدى المستوطنات الصهيونية كان يريد أن يأخذ دروساً في عرف الكمان في مستوطنة أخرى، وبطبيعة الحال كان لا يريد أن يمر من القرى العربية، فشُهِد له هذا الطريق الموسيقي خصيصاً وقد نشرت جريدته معاريف^(٢١) خبراً عن ذلك المستوطن الصهيوني الذي كان لا يريد السفر إلى عمله عبر الطريق الثقافي ولأكثر أمناً، لذلك وسع الجيش دبابه وعدة جنود يرافقونه في دبابه وإيبه، وتمر هذه القافلة عبر قرى عربية مزدهرة بالسكان، وكل ذلك من أجل أن يصل الشخص بسلام إلى عمله، من خلال لصريق الذي يعجبه دون أن يتعدى أحد خريطة الإدراكية!

ولكن انتعاسة الأقصى فصحت أكاديب الصهاينة وبنّت أوهامهم، فالشعب الذي غُيِّب من خلال الطرق الاتفاقية عود الظهور على شاشة الوعي الصهيوني، وإذا كان قد ظهر عام ١٩٨٧ وهو يحمل حجراً، فإنه يظهر هذه المرة وهو أكثر عزمًا وإصراراً ويجعل مدافع الهاون وصواريخ الأقصى واقعيًا المصنوعة محلياً وهم لا يتورون مصايقة المستعمر وحسب، وإنما يبورون طرده، ولذا فهم يهاجمون مستوطناته وطرقه الاتفاقية ويرمون رسائل مسلحة إلى المستوطنين معارف أن عليهم الرحيل عن أرض العلمانيين وقد علّق زئيف شيف على السرعة الهستيرية التي تشيّد بها

الطرق الانتصافية في زمن الانتصاصة والحرب، فطرح ثلاثة احتمالات تعمّر سلوك حكومة شارون. الأول هو أن هذه التعمّات تعبّر عن النية في عدم إحلاء الصفة الغربية أنداء، والباقي كله نوع من ذر الرماد في الميون!! والاحتمال الثاني هو أنهم قرروا تشييد شبكة طرق للدولة الفلسطينية التي ستقوم في الصفة العربية، على أن يقوم دافع الصرائب الإسرائيلي بتمويلها! والاحتمال الثالث هو أن السلطة في إسرائيل تملكها الشيطان دون أن يستطيع أحد وقف مسيرة السحافة.. وتصل السحافة إلى درجة الكوميديا حين نعرف أن الحكومة الصهيونية سقّت طرفاً الانتصافية حول الطرق الانتصافية ولا شك أن المستوطنين أدركوا دلالة الالتفاف حول الالتفاف تماماً مثلما أدركوا ترايد شبحية مستوطنات الأشباح.

رفض الخدمة العسكرية والنزوح.

ويتضح تساقط الخريطة الإدراكية الصهيونية أيضاً في ظاهرة رفض الخدمة العسكرية والفرار منها، وهي ظاهرة جديدة/قديمة في المجتمع الإسرائيلي. قديمة من ناحية أن التجمّع الصهيوني عرفها من قبل عدة مرات كان آخرها أثناء احتلال جنوب لبنان، وهي جديدة من ناحية أنها ظهرت مرة أخرى استجابة لمصاعيد المقاومة الفلسطينية في الانتصاصة الحالية. ويندو أن الثرية كانت خصبة ومهيأة لمودة هذه الظاهرة، لقد تصاعدت معدلات العلمنة والأمركة والتوجه نحو البذة، وهي اتجاهات سادت في إسرائيل بعد عام ١٩٦٧ وأدت إلى تحول التجمّع الصهيوني إلى مجتمع اثلاثة في (سفيدو والمواو والفيللا)، وإلى ظهور «الروشن قصلان» أي المستوطن المتوجه نحو انددة ذو الرأس الصغير والمعدة الكبيرة، الذي يجيد الاستهلاك ولا

يؤمن بأية مثاليات أو أيديولوجيات بما هي ذلك الأيديولوجية الصهيونية. مثل هذا المواطن لا يعرف كيف يصحح من أجل وطنه وكرامته، فهو ملتزم حول ذاته، خريطته الإدراكية متمركزة حول معدلات استهلاكه ورغائمه، وهو بالتالي يصرّف عن الخدمة العسكرية ويغفر منها

ومن المعروف أن شارون طرح برنامج الحد الأقصى الصهيوني الذي يلتزم بعدم القتل عن عور الأردن أو إزالة المستوطنات أو تقسيم القدس أو عودة اللاجئين^(١٢). ثم بدأ بعد ذلك يتحدث عن بعث الروح القديمة روح التضحية وتحمل المشقات التي تسم الزواد الصهيونية. وقال إنه سيقود الإسرائيليين في حرب بحيث يمكنهم دخول معركة تمتد لمدة سنتين بل وربما عشرات السنين يردون فيها الصاع صاعين للعسكريين

ولكن شارون (كما يلاحظ جاكسون دانيال في الواشنطن بوست^(١٣)) من الفادة الإسرائيليين الذين فشلوا في إدراك أن عقليه الكيبوتس القديمة قد ولّت وذهبت، وأنه حل محلها مجتمع علماني متروك. مجتمع «الهدى تلك» الذي لن يقبل سنوات طويلة من الهجمات الانتحارية دون وجود أمل في تسوية دائمة وهذا ما لاحظته أيضاً إتيان هابز، فهو يشير في مقال له إلى أن جيش الحماية في هيتام الشمالية قد هزم الأمريكيين المسلحين بأحدث الوسائل القتالية... ويكمن المصير في أن الروح هي التي دفعت المقاتلين وقادتهم إلى الانتصار.. الروح تعني المساواة والتصميم والوعي بعدالة النهج والإحساس بعدم وجود خيار آخر^(١٤). وهي الروح التي ميزت إسرائيل... ومكنتها من القتال من أجل حريتها وهي أيضاً الروح التي ابتعدت عنها هذه الأيام

هذا التوجه نحو الله يجعل من الخدمة العسكرية عبثاً لا

يُطلق ولدا حينما لميلت انتفاضة الأقصى، ظهرت حركة «الشجاعة في الرفض» (أي رفض الخدمة العسكرية) التي أصدرت بيانا جاء فيه أن الموقعين عليه «صهاينة محضون» وأنهم كانوا من لأولئك في النخاع عن إسرائيل، إلا أن الأوامر التي يتلقونها الآن لا تبت لأمر الدولة بأية صلة، أي أنهم يرفضون التصور الصهيوني للأمن الإسرائيلي الذي يعتمد من النهر إلى البحر، والذي يضم كامل قراب فلسطين ومن ثم، فإن الجيش الإسرائيلي في الصفة هو، بالنسبة لهم، جيش احتلال لأن «الصفة العربية ليست إسرائيلية» ولد فهم يعنون أنهم بن «يشتركوا خيب يسمونه حرب أمن المستوطنات» وأنهم لن يوصو «القتل حرم الخط الأحمر بهدف السيطرة والطرده والهدم والإغلاق والتصفية والسجوع والإهانة لشعب بأكمله» (٤٥).

وقد عقدت مجلة نيويورك (١٦) مقارنة بين ما يحدث في إسرائيل وما حدث في جنوب إفريقيا فقد رفض الجنود أن يخضعوا في مدن السود، للاستجبات الحكومة في البداية استجابة صيفة. ومع تصاعد مقاومة السود، أزدادت حاجة الحكومة لجنود بيض فترايدهم ضد الجنود البيض لعرضهم، فحاولت الحكومة أن تخفف من حركة المقاومة بطرح أشكال بديلة للخدمة العسكرية، وفي نهاية الأمر، اقتضت الحكومة بعدم جدوى سياسة لتعرقه اللونية وتعاوضت مع ثوار جنوب إفريقيا السود.

إن خريطة المجنين الإدراكية بدأت تهتر وتغير بسبب تكرار المروء خارج حدود إسرائيل وبسبب الهزائم التي لحقت بهم مما جعلهم يشعرون أن الحروب الصهيونية ليست حتمية معروفة عليهم وإنما هي حروب توسعية تقم بهم من احتلال المؤسسة العسكرية. كما أن الإطال لأيديولوجي الصهيوني قد أخذ في

لتآكل ولم تعد الصهيونية هي الرؤية التي تقصر للمستوطنين الصهيونية حاصرهم (وماضيهم ومستقبلهم) وإنما أصبحت عبئاً يطرح عليهم حلماً مستحيلًا، وهو حلم الاستيلاء على أرض المير والاستقرار فيها دون قتال أو مفاوضات.

وقد أصبحت الخدمة في الجيش بالنسبة للكثير من الإسرائيليين عبئاً اقتصادياً كبيراً إذ يُخص كثير من الجند من أعمالهم بمد أدائهم خدمة لاحتياط، في الوقت الذي يُعنى فيه طلبة المدارس الدينية من الخدمة العسكرية وتمنق عليهم لمعونات ليستأنفوا دراستهم.

واقف بدأ المجنون يشعرون بأنه لا جدوى من الاستمرار في الحرب حال المعلق الإسرائيلي يوشيل ماركوس «نحن نستخدم الطائرات من طراز (اف ١٦) فوق غزة، وسقط قتيل ربتها طن (وهو ما يمدل ٤ صواريخ سكود العراقية)»^(١٧)، ويطرح قائد لقوات شعار كل صدام مع فلسطينيين لا بد أن ينتهي بانتصار إسرائيلي ومن الواضح أنه فشل تماماً في تعييز شعاره هذا فصرخ أن لجيش الإسرائيلي واحد من أقوى جيوش العالم، (لا أن سرعه الحركة لم تعد في صالحه). هالعليات العسكرية سرية لم تعد حكرًا علينا إذ تعلم الفلسطينيون معجزة عمليات رهيبة المستوى (كما يقول التليفزيون الإسرائيلي) فبيما نحن نعد الضابض، يرشأ إرهابي في أحد مراكز التسوق بمدفعه إلى سلاح الفلسطينيين السري هو «التفجير الانتحاري» كما أن لتطوع للقيام بعمليات الانتحارية ثم يعد منصوراً على المعصيين الدينيين، فالاستشهاديون [هكذا في الأصل] يأتون الآن من صفوف فتح.

ومن أهم أسباب رفض الخدمة العسكرية، إدراك الجنود لدى وحشية الجمع الصهيوني للفلسطينيين. وقد ذكرنا من قبل أن المؤسسة

المعسكرية الإسرائيلية نجحت في إقناع المجندين أنهم يدافعون عن وجودهم المردى والعمومي، وأنهم يدخون في حروب دفاعية متتالية بسبب لاعتقالاتية العرب وشراسنتهم. لكن الرؤى الأيديولوجية عادة ما تولد خريطة إدراكية تكتسب استقلالاً عن موضوعها بحيث يصبح بها مطلقها الخاص وتؤدي إلى نتائج غير مقصودة. وهذا ما حدث في هذه الحالة، فوجود الاحتياط الذين قُسمت أمحاحهم بهذه الاعتداریات الصهيونية الأخلاقية المصقولة، استنقوا منها معايير للحكم على ما حولهم، وحيثما أرسلوا إلى الصصة العربية قاصوا بالحكم على أفعالهم وعلى قياداتهم بهذه المعايير.

وقد قال أحد الجنود، «تربيتنا على أن نكون ضباطاً أنقياء كالبلور، وحولنا إلى عزلة فاشيين يريقون الدماء ويرتكبون جرائم الحرب»^(٤٨) وقبل ثان «لا أسمع نفسي بأن أقمع جمهوراً من الجوعى، لقد تربيوني في الجيش على القتال، ولست مستعداً لأن أواجه أطفالاً ونساء وشيوخاً بالسلاح»^(٤٩). ومهما يكن الأمر، كان هناك دائماً الادعاءات الأخلاقية، التي ربما يكون قد صدقها بعض الجنود ولكنهم حيثما زج بهم في الصصة العربية، أدركوا طبيعة الحرب التي دخلوها وحكموا عليها من منظور الادعاءات الأخلاقية الصهيونية.

ولا أدري مدى صحة أقوال هؤلاء الجنود فهل تم همدلاً عرس قيم قتالية سامية فيهم مثل طهر السلاح؟ من خلال قراعتي للصصح الإسرائيلية تظهر في الواقع صورة مغايرة تماماً فهي معال له تُشر بشير أمير أورين إلى أن أحد الضباط يصح المتدربين أن يستعدوا للحرب في المدن الفلسطينية بأن يتعموا كيف نجح نازيون في إصعاف حيتو وارسو (الذي وُضع فيه معظم أعضاء الجماعة اليهودية) وفي تدميره في نهاية الأمر^(٥٠)

وهي مثل آخر. حلول أحد مدوبي سلاح المشاة أن يقع طلبة الصف الثاني في المدرسة الثانوية هي القدس أن ينضموا لوحدة، فوعدهم بأن من ينضم إلى الوحدة سيتمكنه أن يأخذ صوراً مع جيش (حقيقية) (٥١).

وقد أشار رامي كلاب (٥٢) إلى تأثير الإيديولوجية التي تُشعر في الجيش الإسرائيلي والتي «تبين أن العرب أعداء مفلة غريب ومتأمرون». فهي أيديولوجية «تزرع عن العرب الإنسانية، وتقمي التعمش إلى الدم العريرة الذهبية في الإنسان حين تتوفر له القدرة على الفساد».

وقال أحدهم «نحن نقوم بحماية حفنة من المستوطنين المتورين الذين يستخدمون الجيش لأغراضهم لذاتية في الربح المائي أو الديني، ونحن علينا أن نساعدهم ونرسيهم، ومن أجلهم نسلح حقوق الشعب الفلسطيني ونصبح جيش احتلال بشعاً بدلاً من أن نكون جيش دفاع» (٥٣). وعلى حد قول أحد الرافضين «إن كنت معتلاً، فذلك لا يمكن أن تنعم بالرحمة فالقموه هي الشيمة الحتمية للمحتل» (٥٤).

وكما سبق القول، فإن اهتزاز الخريطة الإدراكية يتصح في ظاهرة الزوج، ولعل هذا المقال الطريف يصلح مدخلاً جيداً لمهم استجابة العمل الإسرائيلي للاهتمام «إنه بسبب تردّي انوضع الأمني والاقتصادي الإسرائيلي بدأ الإسرائيليون يبحثون عن مصادر للأمان فهما وراء البحار: جولات سفر، تأشيرات عمل - عقارات. لهذا السبب وجد الصحفي بن تسيون تسييرين نمعه مطلوباً أكثر من أي وقت آخر لأنه ألف كتاباً بعنوان كل الطريق تؤدي للحصول على جولات سفر آخر. وقد لاحظ تسييرين أن الكتاب الذي صدر منذ ١٥ عاماً كان يحقق مبيعات كبيرة إلى أن تم توقيع اتفاقية أوسلو

«فالناس لم تعد تفكر في الرحيل، ولم يعد الكتاب يُباع ولكن، منذ اندلاع الانتفاضة الثانية، وأنا ألقى عشرات المكالمات الهاتفية»

ولكن ما ندي يدفع استوطنين الإسرائيليين إلى التفكير في الهروب؟ تقول المقالة، إن الباحثين عن جواز سفر جديد يكابدون أحاسماً بالمرع والخوف والهمسرية والإحساس بسعير والقلق ويرون أنه لا أمل في التوصل إلى اتفاقية سلام، إنهم يحافظون من اندلاع حرب شاملة ومن صواريخ الكاتيوشا فوق رؤوسهم، ولا يريدون العيش في ملاجئ ولا يريدون تمرير أطفالهم للخطر ويحافظون على مصير أولادهم.

وقد جاء في صحيفة يديعوت أحرونت (٥٥) أن الإسرائيليين بدأوا يهربون باتجاه أمريكا مرة ثانية، ولكنهم هذه المرة يهربون أكثر من ذي قبل، فقد شرع قسم الهجرة التابع لحكومة الولايات المتحدة في منتصف شهر مارس ٢٠٠١ في حملة السحب السنوية على «الجوين كارد» تلك التأشيرة التي تسمح لأصحابها بالاقامة والعمل في الولايات المتحدة بصورة شرعية، وقد صرح مسؤول في أحد المكاتب الكبرى المعنية بهذا الموضوع في أتلانتا بأن عدد لإسرائيليين الذين قدموا عن طريق المكتب - طلبات الاشراف، في عملية السحب حتى الآن للحصول على «الجوين كارد» أكبر عشرت المرات من عدد الذين سجلوا أسمائهم في عملية السحب خلال نفس الفترة من العام الماضي

وهي مهال سحر بقلم «موتي باسوك» في إسرائيل (٥٦) يقول الكاتب إن إسرائيل تنضم للاتحاد الأوربي لا كأمة وإنما كأفراد - لوحد تلو الآخر وقد أطلق الكاتب طرفته هذه بعد أن تزبد عدد الإسرائيليين الذين طلبوا جوازات سفر أوروبية.

وهلأخذ أن كثيراً من النازحين هم من أبناء الطبقة

المتوسطة الإشكالية ذوي الأصول العربية الذين يشكون العمود
المقري لتجمع الصهيوني (ومما يساهم على ذلك أن المولة تفتح
المرم أمامهم في العالم انقري لما لديهم من خبرات والتحديات)
كما أن من بين النارجين عبدأ كبيراً من أعضاء الكمبيوترات وكبار
المباط والطيارين والمهندسين في صناعة السلاح هؤلاء يتعمون
اللغات بسرعة، ويوسمهم التكيف مع بيئتهم الحدية، «الإسرائيليون»
مهاجرون بطبيعتهم» (٥٧). هؤلاء المستوطنون عديم من المدخرات
ما يسمح لهم بأن يودعوا مبالغ طائلة في البنوك في الخارج .
كملاذ من يوم بارد، كما يقول أميون دنكر (٥٨).

وحالة المستوطن الإسرائيلي عاموس ساهر، الذي يعمل
كمرشد سياحي والبالغ من العمر ٢٥ عاماً، تستحق الدراسة، فقد
قرر الرحين هو وزوجته وابنه الصغير بعد أن يجد مشترياً بشقته
يقول ساهر: «لم يكن الأمر هيباً . لقد استغرقتني أعوام من
الانفجار وأعمال القتل، من الأحزان والأمال، من المجدالات
والقلق، لكسي قد عيت في النهاية. مشيت أن نجدهم في كل مرة
تفتح فيه «لمياح يتحدثون عن انفجارات، عن دماء، عن موت، عن
جائر هذا هو الواقع بصراحة. ولست فخوراً بذلك، ولا أعتبر
هد شعاراً بي ولكن من المستحيل أن تقولوا لنا عيبكم أن تيقوا
هنا ما دام من المستعير أن تصمو سا حياتنا. إني أريد أن أصبح
أسرتي أهلى قدر ممكن من السعادة».

ويضيف ساهر «الجميع الآن يعتقدون أنه لا مجال لتقديم
بحره، فليس هناك ما نتعلم نحوه مشكلة هي أننا على مدى
السنوات الثلاث والخمسين الماضية لم نتجح في صمم أمينا. هذا
هو سبب الرحيل. نحن نشعر بعدم وجود مخرج .. الحل هو
الرحيل وليس تغيير لسلطة من الصعب علي أن أقول هذا، ولكننا

هي إسرائيل تعيش كما لو كنا مسحورين بحرج بي اشوارع ومن
يمكن ان يحدث أي شيء ويصنعا ويحولنا إلى أشلاء أنا لا أرى
أملاً في حدوث تغيير كبير وإحساسي يقول [ليس فقط الإحساس
ولكنه التحليل العقلاي] إنه لا سبيل لضعفان حياة الناس هنا أعلم
أن هناك أماكن لا تحدث بها مثل هذه الأمور حقاً لا توجد أماكن
محصنة من الموت ولا أماكن ليس بها معاناة، ولكن هناك أماكن
يمكنك أن تصحو فيها في الصباح وتفتح عينيك وتحتسي فنجان
القهوة وتخرج وتقول للناس صباح الخير وأهم شيء هو أن تصل
إلى موقع عملك في الموعد المحدد، أنا ببساطة أشعر بالقلق على
طعني الرصيح. ويبدو أن من سيحاولون إقناعي أن أبقى يفصلون
أن أموت هنا على أن أعيش في مكان آخر، أما أنا شخصياً فأنا
أفهم الحياة ولا أحيل من ذلك.

وقد نشر ساهر موقفه هذا على شبكة الإنترنت^(٥٩). وأن
التعليقات على موقفه تكسر الحالة المعوية لدى الجماهير فقد
هاجمته الأملية، ولكن كانت هناك أقلية وحيث نفسها، فالمستوطن
دوبي من مستوطنة رحوفوت قال: «أخيراً.. لقد قال أحداً وفعل ما
نرغب لأغلبية في قوله وفعله، ولكنها تخاف أن تقوله وتفعله»

وقد سئل ساهر عما إذا كان سيفقد أصدقائه والطبيعة
الجميلة واللغة، فكان رده مستوطن حقيقي. مهاجر دائم لا
جنور له قال «يمكنني أن أحب الطبيعة في مكان آخر.. إن كل
ما أكناه هنا منذ لحظة ولادتنا.. ليس أصعب جنوراً مما هو
موجود في أماكن أخرى. إنني لا أهتم كيف يمكن أن أحب
إسرائيل والنار بطلق علي في كل مكان». إن ساهر لا يبحث إلا
عن منعمته وخلصه بفردي، ولداً فوطيه هو مصلحته، أو كما
يقول «إسرائيل تمثل بالنسبة لنا إمكانية واحدة من بين العديد من

الإمكانات في العالم». وهو لا يختلف في ذلك عن كثير من المستوطنين الصهاينة، خاصة المهاجرين الجدد من لانكار السوفيتي (سابقاً) الذين وصفتهم أحفهم بأنهم يجلسون على حقائبهم، أي أنهم يستوطنون في إسرائيل بشكل مؤقت حتى يجدوا فرصاً أحسن للحراك الاقتصادي والاجتماعي. ولذا، حينما سألته محبوب هل تترس إذا كان سيضايقه الشعور بالرصاص الذي سينتاب أعداء إسرائيل بعد مناع كلامه هذا، أجاب بأنه ليس مسؤولاً عن الروح المعنوية في إسرائيل. لست في حاجة لتصور ما يفكر فيه حين تصور الله عندما يقرأ عن مرشد الرحلات عاموس ساهر. حين تصور الله ليس في حاجة لعاموس. عاموس [ببساطة شديدة] لا يريد أن يقف بسيارته في احتفاق مروري فيعرض نفسه، ويصيف؛ لقد شاهدت أولاً يمشون بهذه الطريقة إنني أبحث عن مكان صغير وهادئ للرجة الملل. مكان يرك فيه الناس أبواب منازلهم مفتوحة وهم بخارجها، أنا أعرف أن هذا موجود.

إن ما يشمر به المرشد السهاحي والمستوطن الصهيوني عاموس ساهر هو ولا شك شعور معظم المستوطنين الصهاينة بحصنهم عند الجرة لأن يصح عن شعوره ورعيته الذهبية والبعض الآخر لا يحتري على مواجهة ذاته ولكن هل سيستمر بوضع على ما هو عليه؟

ويجب أن نشير إلى نزوح سكان المستوطنات منها، إلى ما وراء الخط الفاصل بين فلسطين التي احتلت عام ١٩٦٧ وتلك التي حُكمت قبلها، باعتباره شكلاً من أشكال النزوح. وقد ورد في صحيفة نيويورك أوروبوما (٦٠) أن عدد الإسرائيليين الذين أمضوا عيد العصح خارج إسرائيل كان حوالي ٢٠ ألف إسرائيلي، وأن كل هذا بسبب الوضع الأمني ويمكن اعتباره نزوحاً مؤقتاً.

نهاية إسرائيل.

يوري أفيري، عضو الكنيست السابق، من أوائل المسوطنين الصهاينة الذين أدركوا أن المشروع الصهيوني لا يمكن تحقيقه، ولذا فقد كان كتاب إسرائيل بدون صهيونية من مؤلفاته الأولى. وقد نشر أفيري مقالاً بعنوان «الضربة القاضية لم تُسدّد بعد»^(١) يقدم فيه تقييماً كلياً للمواجهة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ويعطيا صورة دقيقة لخريطة الإدراكية الصهيونية وتحول الإدراك الصهيوني للمقاومة الفلسطينية يقول أفيري «يدخل ملاكمان اسلحة واحد منهما بطل الوزن الثقيل، والآخر وزن الريشة. ويتوقع الجميع أن يعوم البطل بتسديد ضربة قاضية تقضي على غريمه النهريل هي الجولة الأولى. ولكن، وبما سمج، تنتهي الجولة الأولى والضربة القاضية لم تُسدّد بعد، وهي لجولة الثانية يستمر نفس الوضع، وبعد الجولتين الثالثة والرابعة، لا يزال وزن الريشة واقفاً، مما يعني أنه هو الرابع الحقيقي، لا بالضربة القاضية ولا بالنقطة، وإنما مجرد أنه لا يزال واقفاً ومستمراً في الصراع مع غريمه القوي»

هذه الصورة المجازية تطبق تمام الانطباق على المواجهة بين قوى الاحتلال الإسرائيلي والشعب الفلسطيني. فالجيش الإسرائيلي الصهي لم ينجح حتى الآن في تحطيم العمود الفقري للانتماء لقد جرب هذا الجيش كل شيء ابتداءً والطائرات والذبابات والمواقع الثقيلة والتسمية لجسدية وتحطيم أحياء بأسرها والحصار وتحطيم المنازل وقطع الأشجار، ومع هذا فإن الفلسطينيين لا يزالون حتى الشهر السابع واقفين يصارعون غريمهم

ورادة الشعب الفلسطيني لم يتم كسرهما رغم كل الصعوبات الماسية التي مُدّت إليهم، وقد أثار هذا نهضة الجولات

والملحقين الإسرائيليين جميعاً. وتحلم اقتصاد الفلسطينيين، وأصبحت حياتهم جميعاً، ومع هذا يؤيد الجمهور الفلسطيني الاستمرار في الكفاح، وقد وصف أحدهم الصراع الإسرائيلي الفلسطيني بأنه «صدام بين قوة لا يمكن مقاومتها، وشيء لا يمكن تحريكه». لقد أصبحت الانتفاضة حرب استنزاف، في مثل هذه الحرب، بين قوة الاحتلال والمحتلين، نجد أن روح المحتلين المسوية عالية لأنهم يدافعون عن وجودهم ذاته وفي الحرب، كما يقول نابيوس، «تشكل الامتيازات المسوية الثلاثة أربع، أما توازن القوى فيشكل الرابع الباقي».

كتب أقتيري هذا في الشهر السابع من الانتفاضة مما بالكم بالسنة الثانية وما بالكم بأبناء صباروخ قسم ٢ محلي الصنع، الذي يصل إلى الحلق الإسرائيلي، والذي كسبت عنه الصحف العربية في نهاية كتابه خير عادي، وكتابته لا يتضمن تعبيراً نوعياً في المواجهة بين جيش الاحتلال والمقاومة الفلسطينية، في الوقت الذي وصف فيه جددون سامت الصلاروخ بأنه «ليس مجاًحاً للانتفاضة الثانية وحسب، بل هو أيضاً إحقاق محتم وصارخ لجهود الردع الإسرائيلية»^(٦٢). وقال تالي شاحك «التفسيرات الأمنية والأنباء التي توقف شعر الرأس بشأن»^(٦٣) الصواريخ الموجهة في هذه اللحظات نحو مسيطرانات خط النحاس أو مراكز المدن. وكذلك العمليات المعقدة والموذ الناسمة التي لم يشهد لها مثيل، تعذي الخوف في قلوبنا».

يقد كان اسم عز الدين القسام محفوراً في الذاكرة وفي الخريطة الإدراكية الفلسطينية والعربية والإسلامية رمزاً للمقاومة والاستشهاد وهذا هو ذا يسجول إلى جمعية مادية، وهكذا حول المنتقصون انحللم العربي إلى حقيقة، وهكذا تُفعل الهوية والذاكرة

لتحويل المستوطنات إلى أطلال بدلاً من البكاء التقليدي عليها، ثم جاءت المعاجاة الأخيرة: تفجير دبابه «مركبا ٣» الإسرائيلية، وهي من أحدث أنواع الدبابات وأكثرها تحصيناً. كلل الانسحاب من القوة بحيث انقلبت النجبة على جانبيها ويبدو أن المنتفضين الذين خططوا للعملية بهذه، استخدموا مائة كيلو حرام من انتصارات وتمت هذه العملية تصعيداً جديداً، ثم يتوقعه الإسرائيليون الذين كانوا يتعجبون عن «جيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يُهرء»

وانتفاضة الأقصى هي جزء من الحوار السليح الذي اضطرت فيه المتعضون الفلسطينيين مع المستوطنين الصهاينة. وتُعمل من أهم ثمرات هذا الحوار أن المستوطنين الصهاينة بدأوا يدركون الانتفاضة لا باعتبارها إرهاباً (كما يدعي رعاؤهم أو كما يدعي جورج بوش وأعوانه) وإنما باعتبارها حرب تحرير وحركة مقاومة

ويقول زئيف شيفه أهم معالي عسكري في إسرائيل هي وصوح كاس، إن العمليات العدائية الفلسطينية تنتمي إلى حرب العصابات وليس للإرهاب^(٦٤) [ولعل هذا القول يتكرر بكلمات بن جوريون وشاريت التي وردت في الفصل الثاني] أم يوئيل ماركوس فيشير في مقال له إلى فشل إسرائيل في القضاء على ما أسماه «الإرهاب القومي»^(٦٥) بالقوة ومن الواضح أن كاتب يخاف من الحديث عن الانتفاضة باعتبارها مفزومة مشروعة ولذا فإنه يحصى وراء عبارة «الإرهاب القومي»، إلا أنه يعني، هي واقع الأمر «المقاومة الشعبية» أو «حرب التحرير» ومما يستفهم هذا الرأي أنه هو نفسه يقول إن فشل إسرائيل ليس فريداً «ففي القرن العشرين، لم تنجح دولة في العالم في القضاء على الإرهاب القومي» وهو بذلك يستدعي، إلى غفل مستوطنين الصهاينة تاريخ حركات المقاومة في كل من إفريقيا وآسيا وهي الحركات التي نجحت في

هزيمة الجيوش الاستعمارية ونصصية الجيوب للاستيطانية سوء في
لجرائر أم جنوب إفريقيا أو في غيرها

وينسأل إبراهيم يهوشع فيقول «هل بإمكانكم أن تأتوا بمثال
واحد من التاريخ نجح فيه شعب في السيطرة على شعب آخر
لفترة طويلة؟ هل تعرفون مكاناً واحداً في العالم يعيش فيه بشر
دون حقوق إنسان مثل الفلسطينيين؟» (٦٦).

إن ما يُسمى «الإرهاب» ليس إرهاباً، بل هو حرب تحرير،
لأن الفلسطينيين يمسوا مجرد مجموعة متناثرة من المحاربين، بل
هم شعب بأسره له تاريخه ومؤسساته الحضرية وهذا ما يبيّنه
مائيكل بن مائير (٦٧). إذ يقول: «إن الانتقامية هي حرب التحرير
التي يحوصلها الشعب الفلسطيني. فالتاريخ يعلمنا أنه لا توجد أمة
على استعداد لأن تعيش تحت هيمنة شعب آخر، وأن حرب التحرير
التي يخوضها شعب مضطهد مستتج حتماً».

أما جرشون بلسكين، المدير العام لمشارك المصنعة
الإسرائيلية الفلسطينية بيهود و معلومات، فقد كتب يقول: «إن
الفلسطينيين يعرفون أن قوتهم العسكرية أقل أضعاف المرات من
قوة الإسرائيلية وأنه لا يوجد أمامهم أية إمكانية للفوز في أرض
المعركة ولكنهم يؤمنون من الناحية الأخرى بتفوقهم السياسي
والأخلاقي، واعتقادهم أن العدل والتاريخ يقفان إلى جانبهم وهم
يقولون إن إسرائيل هي المحتل الأخير المتبقي في العالم وإن أحداً
لا يستطيع أن يوقف نصرهم في حرب التحرير التي يحوصلونها
سد الاحتلال لأجنبي وهم يعتقدون أيضاً أن اتباع تكتيك مثل
حرب ننه سيحقق غاياتهم وأن الحصار لعندة سي تلحقها
إسرائيل بهم تمرز من محتوياتهم وتشكل النصص الأهم في الرواية
الفلسطينية واستناداً إلى تجربة أوسلو الفاشلة، فهم يعتقدون أنهم

لن يمكنهم أب ينزلوا من إسرائيل انسحاباً كاملاً من المناطق المحتلة من خلال المفاوضات السياسية. وهم مقتنعون أنهم سيحققون ذلك في نهاية المطاف من خلال انكسار اندي بخوضونه الآن» [أي من خلال حرب التحرير الفلسطينية]

ولأنها حركة تحرير، فإن حملة شارون الأخيرة للقضاء على الانتفاضة، وعلى ما يسموه البنية التحتية للإرهاب، محكوم عليها بالفشل، فهي «إعلان حرب على الشعب الفلسطيني كله»، فالبنية التحتية المشار إليها قد تكون بعض الورش والمباني ويصنع عشرات من القيادات والمحارز وعشرات الآلاف من الأشخاص الجاهلين للصراع، ولكنها أيضاً المجموعة السكانية الفلسطينية التي تعيش في الضفة والقطاع والتي توفر الدعم الأخلاقي والحقيقي للمحاربين، باسم هذه المجموعة يهاجمون إسرائيل وإنيها يعودون للحصول على مخبأ لهم ولذا فإن إسرائيل لن تستطيع مطاردة كل واحد من آلاف المحاربين الفلسطينيين» (٦٨).

وقد أدت ظواهر مثل نزوح النروح من المنوطن الصهيوني ونزوح الهجرة منه، والمطالبات بمك المستوطنات، والتفكير في تغليب [أي تقسيم] القدس، ونزوح الحالة الاقتصادية والإحساس بالعجز الأمني، وإدراك الانتفاضة باعتبارها حرب تحرير، أدى كل ذلك إلى طرح موضوع بقاء الجيب الاستيطاني الصهيوني على شاشة الوعي الصهيوني، وهو موضوع لا يحب أحد في إسرائيل مناقشته لأسباب مفهومة ولكنه يُطل برأسه في الأزمات ففي أثناء انتفاضة ١٩٨٧، حين بدأ الإجماع الصهيوني بخصوص الاستيطان يتساقط، حذر إسرائيل هاريل، المتحدث باسم المستوطنين، من أنه إذا حدث تفهق من جانب إسرائيل [أي شكل من أشكال الانسحاب والنزوح]، فإن الأمر لن يتوقف عند الخط الأخضر [حدود ١٩٤٨]

إذا سيكون هلاك اسحباب روجي يمكن أن يتهدد وجود الدولة ذاتها^(٧٩) وهو تحذير قد يكون فيه قدر من المبالغة ولكنه يحتوي أيضاً على قدر كبير من الحقيقة، ففي الحروب القومية (كما يقول إسرائيل هازيل نفسه) تلعب لروح المعنوية [أو الجهادية] الدور الأساسي.. وروح الإسرائيليين المعنوية في حالة تراجع - فهل ستصدق نبوءة هذا القمحدث الصهيوني؟

ولا يهم إن كانت النبوءة ستتحقق في المستقبل البعيد أو القريب، فما يهمنا من ناحية دراسة أثر الانتفاضة على الإدراك الصهيوني وعلى المستوطنين الصهاينة، أن يبين أن موضوع نهاية إسرائيل مطروح لأن على قائمة الاهتمامات العسكرية والوطنية الصهيونية «نظر على سبعين» مثال، إلى يديعوت أحرونوت^(٧٠) التي ظهر فيها مقال بعنوان «يشتررون شققاً في لحارح تحسباً لليوم الأسود». واليوم الأسود هو اليوم الذي لا يحب الإسرائيليون أن يذكروا فيه، ويظهر نفس الموضوع في مقال ياغيل باز ميلاماد^(٧١) الذي يبدأ بالعبارة التالية «أحاول دائماً أن أبعاد صي هذه الفكرة المرعبة، ولكنها تلح في كل مرة وتظهر من جديد. هل يمكن أن تكون نهاية الدولة كنهاية لحركة الكيبوتسية؟» انطلاقاً من النمطة الرمزية العالية، ما زالت هذه الفكرة مدجوجة، ولكن ثمة الكثير جداً من أوجه الشبه بين المجريات التي مرت على الكيبوتسات قبل أن تحضر أو تموت وبين ما يجري في الأونة الأخيرة مع الدولة.

بل إن المستوطنين أنفسهم أصبحوا يستخدمون نفس العبارة. ففي مشادة مع شارون، قال الرئيس الإقليمي لمجلس الصنمارة: «سحارب بكل قوتنا وسنرل الشوارع والطريق انديلوصامي هو نهاية الممتولقات، إنه نهاية إسرائيل»^(٧٢) وقد لخص جدمون عيسن الموقف في عبارة درامية «ثمة ما يمكن البكاء عليه. إسرائيل»^(٧٣).

بل إن مجلة فيرويك^(٧٤) صدرت وقد حمل علافها صورة نجمة إسرائيل، وهي داخلها «سؤال التالي: «مستقبل إسرائيل: كيف سيتمسك لها اليقاع؟» وقد رابت المجلة الأمور إيضاحاً حين قالت «هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة؟ وبأي ثمن؟ وبأي هوية؟» ثم اقتبست المجلة قول الكاتب الإسرائيلي عاموس إيلون: «إنني في حالة يأس لأنني أخشى أن يكون الأمر قد انتهى! وهذا هو نصف ما أخشاه» ولا يختلف رأي الأمريكيين (أولئك حلفاء إسرائيل) من ذلك. فقد أعرب ٦٨٪ عن رأيهم في أن إسرائيل ستختفي من لوجود، وقال ٢٣٪ أنها لو استمرت في اليقاع فلن تكون دولة يهودية، وهذه نسبة عالية للغاية (٤١٪) والواقع أن أحداً لم يكن يجرؤ حتى على طرح السؤال منذ عدة شهور!

وبهانة إسرائيل تذكر الإسرائيليين بهاية جيب استعماري آخر غير مأسوف عليه وهو حكومة فيتنام الجنوبية فهي مقال له بعنوان «ليلة سعيدة أيها اليأس» خالكة نخيط بإسرائيل، يشير إتيان هابر^(٧٥) إلى أن الجيش الأمريكي كان مسلحاً بأحدث المعدات العسكرية ومع هذا فإن الجميع يتذكرون «صورة المروحيات الأمريكية تحوم فوق مقر السفارة في ساجون محاولة إنقاذ الأمريكيين و[عمالهم] المحبين في ظل حالة من الهلع والخوف حتى الموت... وكل لييب بالإشارة يفهم أن ماسداه (رمز المقاومة النضوية الانتحارية) لم تطل برأسها وإنما الطائفة المروحية (رمز المقدرة على الاستسلام وعلى لهروب الجبل في الوقت المناسب)، ولا شك أن تبدل الرموز بهذا الشكل يدل على مدى التحول الذي أصاب الخريطة الإدراكية الصهيونية.

ولله أعلم.

هوامش الفصل السابع

- (١) داني (كاشي، وكثيرون وعاجزون ويرفضون التعلم، مجلة نيم (المعد ١٧)
- (٢) هاريس سبتمبر ١ - ٢.
- (٣) يديوت أحريوت ٢٩ يناير ٢٠٠٢ م.
- (٤) هاريس ١ فبراير ٢٠٠٢ م.
- (٥) يديوت أحريوت ٢٩ يناير ٢٠٠٢ م.
- (٦) نفس المرجع.
- (٧) هاريس ٨ فبراير ٢٠٠٢ م.
- (٨) معارف ١٠ فبراير ٢٠٠٢ م.
- (٩) معارف ١١ فبراير ٢٠٠٢ م.
- (١٠) معارف ١٠ فبراير ٢٠٠٢ م.
- (١١) يديوت أحريوت ٢٩ أغسطس ٢٠٠١ م.
- (١٢) الجيروساليم بوست ١ يناير ٢٠٠٢ م.
- (١٣) معارف ١٧ نوفمبر ٢٠٠٠ م.
- (١٤) يديوت أحريوت ١١ مارس ٢٠٠٢ م.
- (١٥) هارن أسر أول لاي B.B.C

- (١٦) هآآرآس ١٢ نوءمبر ٢٠٠١م.
- (١٧) هآآرآس ٢٥ ٲنآبر ٢٠٠٢
- (١٨) معآرشف ١١ فبرآئر ٢٠٠٢م.
- (١٩) معآرشف ٢٠ ٲنآبر ٢٠٠٢
- (٢٠) ٲذمفوت آحرفوفوت ١١ نوءمبر ٢٠٠١
- (٢١) هآآرآس ٢٢ نوءمبر ٢٠٠١
- (٢٢) هآآرآس ٦ آكوفر ٠١ م.
- (٢٣) معآرشف ٢ آبرل ٢٠٠٢م
- (٢٤) ٲذمفوت آحرفوفوت ١١ فبرلر ٢٠٠٢م.
- (٢٥) هآآرآس ولففم {عدء ١٧} صنف ١ ٢٠٠١م
- (٢٦) ٲذمفوت آحرفوفوت، BBC، ٦ ملرس ٢٠٠٢م.
- (٢٧) Israel's Business Renaissance Review، ٢١ ملرس ٢٠٠٢م
- (٢٨) انجفرفوسآلفم فوسفء ٤ فبرآبر ١٩٩٨.
- (٢٩) هآآرآس، ١١ فبرآئر ١٩٩٨م.
- (٣٠) هآآرآس، ١ فبرآئر ٢٠٠٢.
- (٣١) هآآرآس، ٢ سٲفمبر ٠١ م.
- (٣٢) معآرشف ٢ ففسمبر ٠١ م
- (٣٣) ٲذمفوت آحرفوفوت ١٢ ٲنآبر ٢٠٠٢.
- (٣٤) هآآرآس، ٤ فبرآئر ٢٠٠٢
- (٣٥) ٲذمفوت آحرفوفوت ٢٩ ٲنآبر ٢٠٠٢
- (٣٦) هآآرآس، ١٩ ٲنآبر ٢٠٠٢م.
- (٣٧) هآآرآس، ١٦ فبرآئر ٢٠٠٢م.
- (٣٨) ٲذمفوت آحرفوفوت ٢٢ نوءمبر ٢٠٠٢م.

- (٢٩) هالوتس، ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م.
- (٣٠) هالوتس، ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م.
- (٤١) معاريف، ٢١ مارس ٢٠٠٢م.
- (٤٢) معاريف، ١٤ نوفمبر ٢٠٠١م.
- (٤٣) واشنطن بوست، ٤ سبتمبر ٢٠٠١م معمول من الجيوساتليم بوست.
- (٩٤١) يديموت أحروبوته، ١١ فبراير ٢٠٠١م
- (١٥) يديموت أحروبوته، ٣٠ يناير ٢٠٠٢م
- (٤٦) نيويورك، ١٨ مارس ٢٠٠٢م.
- (٤٧) يوبيل ماركوس، هالوتس، ١٩ فبراير ٢٠٠٢م.
- (٤٨) هالوتس، ١٣ يناير ٢٠٠٢م
- (٤٩) الشرق الأوسط، ٢١ يناير ٢٠٠٢م.
- (٥٠) هالوتس، ٢٥ يناير ٢٠٠٢م
- (٥١) الجيوساتليم بوست، ٧ فبراير ٢٠٠٢م.
- (٥٢) يديموت أحروبوته، ١٢ فبراير ٢٠٠٢م.
- (٥٣) الشرق الأوسط، ١٢ يناير ٢٠٠٢م.
- (٥٤) الاندبندنت، ٤ فبراير ٢٠٠٢م.
- (٥٥) يديموت أحروبوته، ٧ مايو ٢٠٠١م.
- (٥٦) هالوتس، ١٩ فبراير ٢٠٠٢م
- (٥٧) هالوتس، ٢٤ أغسطس ٢٠٠١م.
- (٥٨) السفير، ١٨ فبراير ٢٠٠٢م
- (٥٩) يديموت أحروبوته، ٤ يونيو ٢٠٠١م.
- (٦٠) يديموت أحروبوته، ٢٩ مارس ٢٠٠٢م.
- (٦١) الأهرام ويكلي، ١٩ أبريل ٢٠٠١م.

- (٦٢) هالارتس، يناير ٢٠٠٢م.
- (٦٣) معاريض، يناير ٢٠٠٢م.
- (٦٤) هالارتس، ٤ مارس ٢٠٠٢م.
- (٦٥) هالارتس، ١٢ نوفمبر ٢٠٠١م.
- (٦٦) يديعوت احزوبوت، ٢٢ يناير ٢٠٠٢م.
- (٦٧) هالارتس، ٣ مارس ٢٠٠٢م.
- (٦٨) هالارتس، ٢١ مارس ٢٠٠٢م.
- (٦٩) الجيروساناهم بومست، ٢٠ يناير ١٩٨٨م.
- (٧٠) يديعوت احزوبوت، ٢٧ يناير ٢٠٠٢م.
- (٧١) معاريض، ٢٧ ديسمبر ٢٠٠١م.
- (٧٢) هالارتس، ١٧ يناير ٢٠٠٢م.
- (٧٣) يديعوت احزوبوت، ٢٩ يناير ٢٠٠٢م.
- (٧٤) نيوزويك، ٢ أبريل ٢٠٠٢م.
- (٧٥) يديعوت احزوبوت، ١١ نوفمبر ٢٠٠١م.

الفهرس

الصفحة

مقدمة ٥

الفصل الأول: الخريطة الإدراكية والحوار

المسئع ٧

الإدراك والسلوك ٧

الإجماع الصهيوني ١٢

الحوار والحوار النقدي والحوار المسئع ١٨

الفصل الثاني: في الإدراك الصهيوني للعرب

العربي المتعلم ٢٦

العربي ممثلاً للأعيار ٢٩

٢٢	لعربي الهامشي ..
٢٦	لعربي العائش ..
٤١	اليهودي كمربي والمربي كيهودي ..
٤٥	تلخيص ونتائج ..

الفصل الثالث: الاستجابة الصهيونية للعربي

٥٢	الحقيقي ..
٥٩	بين الإدراك والسلوك ..
٦٤	الجدار الحديدي ..
٦٨	الاستجابة لعربية ..

الفصل الرابع: هي الإدراك الإسرائيلي للعرب

٧٥	العربي المختلف والمربي ممثل الأعيان ..
٧٨	العربي الهامشي و لعربي العائش ..
٨٠	العربي كيهودي ..
٨٢	العربي الحقيقي ..
٨٤	القصور الإدراكي ..
٨٦	الاعتدال والتطرف الصهيوني ..

الفصل الخامس، الإدراك الإسرائيلي للثورة

الفلسطينية ٩٢

خصوصية الإدراك الإسرائيلي ٩٩

الفصل السادس، الإدراك الإسرائيلي

للاقتتاضة عام ١٩٧٨ ١٠٥

استجابة المستوطنين الصهاينة للاقتتاضة عام

١٩٨٧ ١٠٦

الدجاج والنعام ١٠٨

شخصية يومية الإسرائيلية ١١٩

الفصل السابع، الاستجابة الإسرائيلية

لاقتتاضة الأقصى ١٢٧

فقدان الإحساس بالأمن والقدس والاتجاه ١٣٤

الانتقام حول الانتكاف ١٤٠

دخول الخدمة العسكرية والفزوح ١٤٧

نهاية إسرائيل ١٥٧

المؤلف ومؤلفاته:

الدكتور عيد الوهاب المسيري مؤلف عربي مفتي بالحضارة
لقرية الحديثة ويشؤون أعتناء انجماوات اليهودية في العالم وُلد
في دمنهور (البحيرة) عام ١٩٣٨، ويمثل أستاذاً غير متفرغ بالأدب
لإنجليزي والمقارن بجامعة عين شمس (كلية البنات). وقد حصل
على عدة جوائز من بينها جائزة العويس للدراسات الإنسانية
والمستقبلية لعام ٢٠٠٢. وله عدة دراسات في الصهيونية وتاريخ
احصائه والنقد الأدبي من أهمها:

♦ نهاية التاريخ (القاهرة، ١٩٧٢).

♦ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية
(القاهرة: ١٩٧٥).

♦ الفردوس الأرضي دراسات وأنطباعات في الحصار الأمريكية
لحديث (بيروت، ١٩٧٩).

♦ الشعر الرومانتيكي الإنجليزي، الترميم الأساسية وبعض
الدراسات التقنية (بيروت، ١٩٧٩)

♦ الأيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع
المعرفة (الكويت، ١٩٨٨)

♦ العرس الفلسطيني: مختارات مزدوجة اللغة من شعر المقاومة
فلسطينية (واشنطن، ١٩٨٨).

- ❖ الانتهاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية. دراسة في لإمراك والكرامة (القاهرة، ١٩٩٠).
- ❖ إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاحتهاد (القاهرة، ١٩٩٣) ٧ مجلدات.
- ❖ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد (القاهرة، ١٩٩٩) ٨ مجلدات.
- ❖ نور والذئب الشهير بالكار - منديللا وزينت هانم خاتون - معرفة كبيرة صغيرة - سر اختفاء الذئب الشهير بالحقان.. إلخ (قسم للأطباء) (القاهرة، ٢٠٠٠).
- ❖ العلمانية تحت المهجر (دمشق، ٢٠٠٠).
- ❖ رحلتي الفكرية في البدور والحدود والشمس سيرة غير ذاتية غير موضوعية (القاهرة، ٢٠٠١).
- ❖ الأكاديب الصهيونية من بداية الاستيطان إلى انتماسة الأقصى (القاهرة، ٢٠٠١).
- ❖ فلسطينية كانت ولم تزل الموضوعات الأساسية في شعر المقاومة الفلسمينية: ١٩٦٠ - ١٩٨٢ (القاهرة، ٢٠٠١).
- ❖ اللغة والإجاز بين التوحيد ووحدة الوجود (القاهرة، ٢٠٠٢).
- ❖ الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد (القاهرة، ٢٠٠٢).
- ❖ الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان (دمشق، ٢٠٠٢).
- ❖ الهيار إسرائيل من الداخل (القاهرة، ٢٠٠٢).
- ❖ مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي (دمشق، ٢٠٠٢).
- ❖ الحداثة وما بعد الحداثة (دمشق، ٢٠٠٢).

♦ من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: أثر
الانتفاضة على الكيان الصهيوني (القاهرة، ٢٠٠٢).

♦ البروتوكولات واليهودية والصهيونية (القاهرة، ٢٠٠٢).

♦ الموسوعة الموجزة: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية في
مجلدين (القاهرة، ٢٠٠٢).

وله عشرات المقالات في الشعر الإنجليزي والأمريكي والحضارة
العربية الحديثة والصراع العربي الإسرائيلي.

هذا الكتاب

التي هي: القضية الفلسطينية، والتمرد، والاحتلال، والسياسة

من أمثلة القضايا التي يواجهها المحللون السياسيون، قضية علاقة إسرائيل الإنسان للواقع المحيط به ويسلوكه ومدى تأثير الإمبراء (والوعي والأفكار والرموز) في السلوك الإنساني، وكيف تكون استجابة الإنسان الذي يتم تحدي خريطته الإمبرائية، كما يحدث في فلسطين المحتلة حين يتحدى المنتفضون خريطة الصهاينة الإمبرائية التي تستند إلى مجموعة من الأساطير والديباجات للتوراتية من خلال المقولمة أو ما نسميه للحوار المسلح.

وهذه القضية لا تختلف كثيراً عن مشكلة الذاتية والموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل والطبيعية. والكتاب يحاول أن يلقي بعض الضوء على هذه القضية: هذا هو هدفه، وهذا ما يرمي إلى تحقيقه. وعلى الرغم من أن كل فصول الكتاب تدور حول الصراع العربي الإسرائيلي (وموضوعات أخرى على علاقة به)، فإن هذه مجرد دراسات لحالات، إذ يظل الموضوع الأساسي هو قضية الخريطة الإمبرائية وكيف تعدد الرؤية، وكيف يمكن تحديثها حتى يتم تعديلها أو تكويضها تماماً، وما الحالات التي أتينا بها سوى محاولات مختلفة لتوضيح بعض أبعاد هذه القضية الكلية والمجردة من خلال أمثلة معينة.

تصدر هذه الدراسة بمناسبة احتفاء الدكتور عبد الله بجلوشة الخامسة والستين من العمر، وإلى هذه المناسبات الحمراء عمراً مديداً حافلاً بالمزيد من الإنتاج الفكري الوصب



الطبعة والنشر والتوزيع والتوزيع

ص.ب. ١١٢/٥٢٨٦ - بيروت

